الفلسفة العملية (المظاهر، وجمالية العيش المشترك) دراسة فلسفية

Title in Practical philosophy (appearances, and the aesthetics of coexistence) a philosophical study

د. هاني بن عبدالله الملحم *
جامعة الملك فيصل- السعودية

Dr. Hani bin Abdullah Al-Mulhim*
King Faisal University - Saudi Arabia

hani077@hotmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/05/21
تاريخ القبول:
2022/12/ 21
تاريخ النشر:
2022/12/31
*****
الكلمات المفتاحية:
الفكر
التفكيرُ الفلسفيُّ
فهْمُ الواقعِ
الحياةُ اليوميَّة
التفلسف

الملخص

يتمحور البحث حولَ فِكْرة مركزيَّةٍ شُغِلَتْ بها الأوْساطُ الثقافيَّةُ والمعرفيَّةُ؛ وهي الجوانبُ العملية للفعل الفلسفيُ، وعلاقتها بالواقع ، وبما أنَّ النظر في النَّسَق أو الفعل الفلسفيّ منذُ بنائِه اليونانيّ الأوَّلِ في وجْهَيْهِ الأفْلاطونيّ والأرُسطيّ، ثم الإسلاميّ، ثم المعاصر يقومُ دوْمًا على وجهَي الفلسفةِ النظريّ والعمليّ؛ فإنَّ اهتمامَنا سيتوجَّه للجانب العملي "الحكمة العمليَّة"، التي اعتنى بها الفلاسفة المسلمين خصوصا وكان من أشكال الحضارة ، وغايتها تحصيل الخير والسعادة وحسن التدبير ، لذا يهدف البحث إلى الوقوف على قيمة الفعل الفلسفي وطبيعة أثر التفلسف وصلته بالفكر وبالحياة اليوميَّةِ والعَيْش المشترك، وأثر الحكمة والفلسفة العملية في الموقف الفلسفي وطرق التفلسف، وفي السِّياقِ يمكنُ أنْ نعالجَ الآتي: ماذا نعني بالفلسفة العمليَّةِ؟ وكيفَ تتجسَّد علاقةُ الفلسفةِ بالحياةِ والتفكير العملي؟ وكيف تظهر فلسفةُ الحياةِ اليوميَّة وفاعليتها في الواقع؟

* المؤلف المرسل.

Abstract

The current study revolves around a central idea that occupied the cultural and cognitive circles which is the practical aspects of the philosophical act and their relationship to the reality. As the consideration of the philosophical act since its first Greek construction in its two sides: Platonic and Aristotelian, then the Islamic and the contemporary sides is always based on the two sides of theoretical and practical philosophy. Therefore, our attention will be directed to the practical aspect of "practical wisdom" whose goal is to obtain good life and happiness to emphasize the value of its role today in rebuilding human reality and ways of thinking. Therefore, this study aims at standing on the value of the philosophical act; the nature of the effect of philosophizing and its relationship with thought. In this context, we can address the following: What do we mean by practical philosophy? How is the relationship of philosophy with life and practical thinking embodied? How do the philosophy of daily life and its effectiveness appear in reality?

Article info

Received ***21/05/2022***
Accepted ***21/12/2022***
Publication ***31/12/2022***

*****

Keywords:
Thought philosophical thinking reality understanding daily life philosophizing

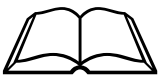

1. المقدمة:

يرى المهتمُّون بالشأنِ الفلسفيِّ أنَّ التطوُّراتِ العلميَّةَ والتِّقَنيَّةَ، والتحوُّلاتِ الاجتماعيةَ وغيرَها، فَرضتْ على الفلسفةِ أنْ تستأنفَ عملَها منْ جديدٍ، وهذا دافعٌ مهمٌّ لتستأنفَ الفلسفةُ مهامَّها كواقع عملي تجعلها حية وواقعا معاشا، وطريق لحل المشكلات الإنسانية، وطريقا لغربلة العقل والتصورات الذهنية للوصول للحقيقة، فتُعيدَ النظرَ في الإنسانِ بما هو السؤال الأوَّلُ والأصيل منذ أنْ أنزل سقراطُ الفلسفةَ من السماءِ إلى الأرْضِ، وما صراعُه مع السُّفُسْطائِيِّين إلا الوجهُ العميقُ للصِّراع القائمِ دوْمًا - وإلى اليومِ - حول النُّموذجِ الإنسانيِّ الذي نريدُه أنْ يكونَ؛ إنسانَ الفاعليَّةِ والحريَّةِ، أو إنسانَ التَّبعيَّةِ والإكراه؟

ولعل تعدُّدَ المفاهيمِ الفلسفيَّةِ ومجالاتِ التفكيرِ الإنسانيِّ وتغيُّرَها - أو تطوُّرَها - نبَّهنا من جديدٍ إلى ثمرة الحكمة العملية التي حرص عليها الفلاسفة اليونان والمسلمين والذي هو مرتبط بالمعرفةَ الفلسفيَّةَ في موضوعِها وغايتِها، وهو ما تم تجسيده فعلًا في الأعمال الفلسفيَّة الأولى؛ الأفْلَطونيةِ والأرْسْطيةِ، ووَفْقَ تقسيمٍ للفلسفةِ إلى فلسفةٍ نظريَّةٍ، وأُخْرى عمليَّةٍ، أو ما صار يُسمَّى عند الفلاسفةِ « بالحكمةِ النظريَّة » و« الحكمةِ العمليَّة» ، التي تؤثر في الموقف الفلسفي وطرق التفلسف ، والتي تقتضي من الفيلسوف رد العالم الخارجي إلى الذات ، فالفلسفة إن كانت علم الوجود الكلي كما عبر عنها أرسطو ، إلا أن الفيلسوف لا يستطيع البحث فيه إلا إذا باعد بينه وبين نفسه وبين الحياة اليومية الجارية ، وهو تقليدٌ أرْسْطيٌّ تبنَّاه الفلاسفةُ المسلمون وطوَّرُوه؛ بل وعمَّقَهُ وأيَّدَهُ الفكْرُ الحديث والمعاصر، من خلال مفهومِ التعقُّل الذي أرْسَاه الفارابيُّ، والذي اتَّسعَ مداهُ وصداهُ اليومَ ضمنَ مصطلحِ: «الفلسفةُ في الحياةِ العمُومية» وواقعها المعاصر.

1.1 إشكاليَّةُ البحثِ:

يتناولُ هذا البحثُ بالتحليل: أهمية الفلسفة العملية، وقيمة الحكمة الفلسفية، وطبيعة وموقف الفعل الفلسفي في حياة الإنسان لتحصيل أسباب السعادة وحُسن التدبير في الحياة، للتأكيدِ على عُمْقِ حضُورِ الفعل الفلسفيِّ وواقعه ومجالاته وتطوره وقيادتِه في بناء رؤيةِ الإنسانِ للحياة والعالم.

2.1 أهميَّةُ (البحث):

أولاً: يعمل على بيان الجوانب العملية للعقل الفلسفي وعلاقته بالواقع والكون، وأنَّ الغاية منه تدبير الأفعال الإنسانية، أي تحويل الفلسفة من كونها فكرة إلى سلوك عملي.

ثانيَا: بيان أنَّ الجانب العملي للفلسفة تحصيل السعادة وحسن التدبير في الحياة مما يعنى إعادة بناء الواقع الإنساني وطرق التفكير؛ لأنَّ الفلسفة فهم للواقع وتغيير له.

ثالثًا: العمل على إبراز مظاهر الفعل الفلسفي في جميع أشكال ممارساته المتنوعة، ومنها فلسفة جمالية العيش المشترك والالتزام الفلسفي لتحقيق ذلك.

3.1 أهْدافُ (البحث):

1) بيان أثر الفلسفة كمعرفة وفكر وموقف في علاقة الإنسان بعالمه وواقعه.
2) تسليطُ الضَّوْءِ على أهميَّةِ الفلسفةِ والتفلسف وأثرِه على الفكر الإنساني وحياته المعاصرة.
3) إبرازُ قيمةِ الحكمةِ العمليَّة في العمليَّة الفلسفيَّة، (النظريَّة والعمليَّة والإنتاجيَّة).
4) إبرازُ العوامل المساعدةِ على فَهْمِ صلةُ الفلسفةِ بالحياة اليوميَّةِ والعَيْش المشترك).
5) بيان دور الفلسفة كواقع عملي وحضاري في حلِّ المشكلاتِ، ونقْدا للمُتناقضاتِ وضبط التصورات.

4.1 منهجُ البَحْثِ:

يعتمد الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي الاستنباطي؛ لأن التفكيرُ في هذه المسألةِ يقتضي من الباحثِ استقراءَ الواقع الفلسفيِّ اليومَ، وربطَه بتاريخِ الفلسفةِ، وتحليلَ الواقع وتشخيصِه، لامتلاكِ القدرةِ على نقْدِه وتغييرِه، والتوقُّف على الآثار الإيجابيةِ التي تُعزِّزُ أهميةَ التفلسف والتفكيرِ الفلسفيِّ.

5.1 الدراسات السابقة:

من خلال ما اجتهد فيه الباحث من البحث في دراسات سابقة فلم يتوصل إلا إلى دراسة عنوانها: " الفلسفة العملية والتقوى: الوسطية بين الفردية والسياسية "، وهي رسالة دكتوراه للباحث: روغ، ويليام باتريك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تكساس في دالاس، الولايات المتحدة

الأمريكية، 2012م حيث استعرض الباحث في رسالته الأفكار الفلسفية وكيف تحويل الفلسفة من التجريد إلى الحكم العملي، وتوضيح ماذا إذا حلت الفلسفة العملية محل الفلسفة النظرية.

بالإضافة إلى بعض المقالات المتناثرة في مواقع الأنترنت عن الفلسفة العملية وماهيتها والإشارة إلى تاريخها بالاعتماد على ذكر بعض الفلاسفة القدماء وآرائهم في ذلك، وهذه المقالات لا ترقى أن تكون أبحاث علمية يمكن الاعتماد عليها في الحصول على المعرفة حول هذا الموضوع.

6.1 خُطَّةُ البحْثِ:

يأتي البحثُ في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثيْنِ وخاتمةٍ:

المقدّمةُ: وفيها أهميةُ البحثِ وأهدافُه ومنهجُه وخطَّتُه.

التمهيد: وفيه عرضٌ للإشكال وفرَضِيَّاتِه وشرُوطُ معالجتِه.

المبْحَثُ الأوَّلُ: في معنَى الفلسفةِ اليومَ؛ وفيه مَطْلبَانِ:

المطْلبُ الأوَّلُ: الفلسفةُ بما هي تفْكيرٌ في الوجُودِ والموجُودِ

المطْلبُ الثَّاني: الفلسفةُ بما هي فعلٌ في الوجودِ الإنسانيّ وتغييره

المبحثُ الثاني: في معنى الحكمةِ العمليَّة وضرورتِها؛ وفيه مَطْلبان:

المطْلبُ الأوَّلُ: مظاهرُ الحكمةِ العمليَّةِ وأقْسامُها

المطلب الثاني: فلسفةُ جماليَّةُ العيشِ المشتركِ والالتزامُ الفلسفيُّ

المطلب الثالث: الفلسفة الإسلامية ودرها العملي والحضاري .

الخاتمةُ وفيها أهم النتائجُ.

2. المبْحثُ الأوَّل: في معنى الفلْسَفة اليومَ

إنَّ تعدُّدَ المفاهيمِ الفلسفيَّةِ ومجالاتِ التفكيرِ الإنسانيّ وتغيُّرَها -أو تطوُّرَها- نبَّهنا من جديدٍ إلى الفعلِ الذي قام به "سقراطُ" في الماضي، من خلال شِعاره الشَّهير: «أيُّها الإنسانُ اعرفْ نفسَك

بنفسِك».[1]. ليؤكد أن الغرض الأسمى للمعرفة ليس الناجية النظرية بل الناحية العملية من الحياة كون المعرفة عنده هي الفكر.

ذلك الشعار الذي تبناه أفلاطون وصار تقليدٌ أرُسْطيٌّ **(عرف بالحكمة النظرية والعملية)**، تبنَّاه الفلاسفةُ المسلمون وطوَّرُوه؛ بل وعمَّقَهُ وأيَّدَهُ الفكْرُ الحديث والمعاصر، من خلال مفهومِ التعقُّل الذي أرْسَاه الفارابيُّ، والذي اتَّسعَ مداهُ وصداهُ اليومَ ضمنَ مصطلحِ: «العيش المشترك»، أو بتعبير آخرَ: «الفلسفةُ في الحياةِ العمُومية»، التي تتطلَّبُ في الحاضر تجديدًا وعُمْقًا في التَّحليل والتخطيطِ **من جهة**، والنظرَ في الأبعادِ، والرُّؤى العقليَّة البعيدةِ المختلفة، والتي تحملُ فهْمًا للواقع وكيفيَّة تغْيِيرِه من جهةٍ أخرى.

ظهرتِ الفلسفةُ مع اليونان القديمةِ، وقد عُرف عن "فيثاغورسَ"[2] قولُه بأنَّه ليس حكيمًا وإنما هو محبٌّ للحكمةِ؛ أي: «فيلسوفٌ».

وقد اعتُبِرتْ **الفلسفة** علمًا عند "أفلاطون"[3]، وأرسْطو منْ بعدِه، ثمَّ شاعَ هذا الاستعمالُ بعدهما - أي: معَ المسلمين وغيرِهم- باعتبارِها أمَّ العلومِ والجامعةِ للحكمةِ وأصولها النظريةِ والعمليةِ، بل بقيتْ محافظةً على صفةِ العلم في عصْرِنا الحاليّ عندما صرَّح هوسرلُ[4] بأنَّ: «الفلسفةَ علمٌ دقيقٌ».

(1) يودين.م. روزنتال. ب، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 245.

(2) فيلسوفٌ يونانيٌّ (582 - 507 ق. م) برع في الرياضيات والفلك، أسَّس طائفةً لها تعاليمُ روحيَّةٌ ذاتُ صِبْغةٍ صُوفيَّةٍ، وفسَّر الكونَ على أساس العددِ والنِّسَبِ، له كشوفٌ رياضيَّة هامَّةٌ. راجع:وعناية فايزة حكيم، الموسوعة الثقافية، (ص 378).

(3) فيلسوفٌ يونانيٌّ (427 - 347 ق. م) يعدُّ تلميذًا لسقراط، ومؤسسَ المثاليةِ الموضوعيَّةِ، وقد استَخْدم على نطاقٍ واسعٍ تعاليمَ سقراط والفيثاغوريين، وقد أنشأ نظريةً في تفسير الوجود سمَّاها: «المثل أو الأفكار». (يودين.م. روزنتال. ب، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 40).

(4) فيلسوفٌ مثاليٌّ ألمانيٌّ (1859 - 1938م) مؤسِّسُ ما يُسَمَّى «بالمدرسة الظواهرية»، تقومُ فلسفتُه على تعاليمِ أفلاطونَ، وقد سعى إلى تحويل الفلسفةِ إلى علمٍ محدَّدٍ تحديدًا محكمًا، وإلى خلْقِ منطقٍ صُورِيٍّ للمعرفةِ العلميَّةِ، من أهمِّ أعماله "الفلسفة الأولى". (يودين.م. روزنتال. ب، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ، ص 563).

واشتَهر عن كتبِ الموسوعاتِ **تأصيل** تعريفُ الفلسفةِ بأنَّها: كلمةٌ يونانيةُ الأصلِ تنقسِمُ في أصلِها إلى كلمتين «فيلو»، «سوفيا»، وتعنى: «محبةَ الحكمة، إلا أنَّها كمفهومٍ وماهيةٍ تعدَّدتْ اتجاهاتُها ومدارسُها الفلسفيَّةُ، حتى أصبَحَتْ مِنْ أرقَى أنْواع المعرفةِ الإنسانيَّة.

كما حرص د. يحيى هويدي في مقدمةِ كتابه " مقدمة في الفلسفة العامة " أن يعبر عن زوايا مرفوضة في التعريفات السائدة للفلسفة " منها ما ضمَّ المعنى التقليديَّ المعروفَ بمحبَّةِ الحكمةِ أو العلم، وهو معنى لم يقتربْ منَ الفلسفةِ بشكْلِه المباشرِ، وساق تعريفًا آخرَ يعودُ في أصلِه إلى أرسْطُو وهو: «البحثُ في العلل البعيدةِ أو الأسبابِ الأُولى، أو البحثُ عنْ آخَر؛ لماذا»، وعُرِّفت بأنَّها: «البحثُ فيما ينبغي أنْ يكونَ».[1].

ولعل ما أراده هويدي في سبيل هذا الرفض التأكيد على أن التعريفات القديمة تدرسها أنها دراسة نظرية تأملية وهذا لا يعني أنها لا تتخذ من الفعل والممارسة العملية ومن الواقع موضوعا لها أو أن بعض الفلاسفة لا يتخذون من الفعل وسيلة للتأثير في الحياة والواقع.

ولقد أكَّدَ ابنُ سِينا في "رسائلِه الفلسفيَّةِ" هذا المعنى قائلًا: «بأنَّها صناعةُ نَظرٍ، يستفيدُ منها الإنسانُ تحصيلَ ما عليه الوجُودُ كلُّه في نفسِه، وَما الواجِبُ عليه عملُهُ ممَّا ينبَغِي أنْ يكْتَسِبَ فعلَهُ، لتشْرُفَ بذلكَ نفسُه، وتُسْتَكملَ وتصيرَ عالما معقولًا مُضاهيًا للعالم الموجودِ، وتستعدَّ للسَّعادةِ القُصْوَى بالآخرةِ، وذلك بحسَبِ الطاقةِ الإنسانيَّة».[2]

ويرى الباحث بأنَّ فلاسفةَ الإسلامِ ربما اسْتَعملوا كلمةَ «الحكمة» أكثرَ منَ استعمالهم لكلمة «الفلسفة»، مع المحافظةِ على جوهر التعريفاتِ اليونانيَّةِ التي أعادُوها أو أعادوا صياغتَها دونَ أيّ تبديلٍ في مُحتوَاها ، لذا **اختار ظهير الدين البيهقي لكتابه عنوانا اسمَاه**: "تاريخُ حكماءِ الإسلامِ"، ولم يقُلْ: "تاريخُ فلاسفةِ الإسلامِ"؛ إذ "الحكمة" **لديه- كمَا بيَّنها محقِّقُ كتاب البيهقيّ- هي:** «علمٌ يُبحَثُ فيه عن حقائقِ الأشياءِ على ما هي عليه في الوجُودِ بقدْرِ الطَّاقةِ البشَريَّة، فهِيَ علمٌ نظريٌّ غيرُ آليّ»[3]..

(1) هويدي يحيى ، مقدمةٌ في الفلسفة العامَّة، ص 22.
(2) ابن سينا، عليُّ بن الحسين رسائل ابن سينا، أقسام العلوم، ط أولى، دار المعارف، 1980 مصر، ص 104.
(3) البيهقيُّ ظهيرُ الدِّين ، تاريخ حكماء الإسلام، مقدمة المحقق، ص15.

وقد عرَّفها صاحبُ كتاب "الموسوعة الفلسفية" بأنها: «علمُ القوانينِ العامَّةِ للوجُودِ والتفكيرِ الإنسانيّ وعمليَّة المعرفة، والفلسفةُ شكلٌ من أشكال الوعْيِ الاجتماعيّ وهي تتَّحدُ في النهايةِ بعلاقاتِ المجتمعِ الاقتصاديّةِ، وعلاقةِ الفكرِ بالوجُودِ والوعْيِ والمادَّةِ»[1]. **وهو بهذا التعريف ينقل الفلسفة من البحث في الوجود العام الى الوجود الانساني المشخص بوعيه وفكره وحياته، على النحو الذي ذهبت اليه الفلسفة المعاصرة.**

ومع أنَّ الفلسفةَ الحديثةَ والمعاصِرةَ لم تُعارِضِ التعريفاتِ القديمةَ للفلسفةِ **كلية؛ لكنها تعبر في نشاطها الجديد** عن تغييراتٍ عميقةٍ حدثتْ في الفكرِ البَشريّ مع ظهورِ الأنوارِ الغربيَّة والحداثةِ، وميلادِ العلمِ الحديثِ، وهي ظروفٌ معرفيَّةٌ متنوّعةٌ وعميقةٌ أثَّرتْ ضرورةً على نظرةِ الفلاسفةِ **المعاصرين** للفلسفةِ، ومهامِّها ووظائفِها والعلاقة بين الفلسفة والتفلسف الذي هو الواقع والفعل الفلسفي المرتبط بالحياة خاصة إذا أردنا الربط بالحياة اليومية إدراكنا أن التركيز على تاريخ الفلسفة ومحورها ومجالاتها وأفكارها لا يصنع فيلسوفا وربما يكون معيقا للتفلسف ، فهدف الفلسفة ليس معرفة وفهم وتدوين الفلسفات السابقة وإنما هدفه التفكير الحر المستقل الموصول للتفلسف الذي جعل ابن رشد يوجد الصلة بين الفلسفة والشريعة ، وجعل الغزالي يوفق بينهما ، ولهذا أكد الفيلسوف باشلار فذكرها بـ " وسيلة التفكير " لذا يقول :" إن أردت أن تفكر بدون أفكار إبداعية فبإمكانك التفكير بدون فلسفة "[2]

وعليه فتاريخ الفلسفة حين عرض لنا فلسفة كل فيلسوف فإنه عرض إنتاجهم ومساهماتهم بناء على تفلسفهم وطريقة تفكيرهم، لذا نجد أن كل فلسفة تأتي ناقدة أو مكملة أو محللة لما سبقهم ولم تكن صورة تابعة لما قبلها، فقيمة الفلسفة العملية المرتبطة بالواقع هي محاولة للذهاب إلى أفاق الدهشة والتساؤل ومحاولة التفكير الجديد بعيدا عن التقليد للفلسفات السابقة، فالإبداع في المفاهيم وطرق التحليل وصناعة الأفكار هي محور العلاقة بين فهم العلم وبناء فلسفة متكاملة ومحددة تتمحور حول الإنسان والعالم.

من هنا ظل ارتباط التفكير الفلسفي بالواقع والنظر للإشكالات والمتناقضات والأفكار وتنوع المعارف جعل عصر أرسطو مثلا وفلسفته مغايرة عن فلسفة ديكارات، لذا يستمر التفلسف وسؤال

(1) يودين.م. روزنتال. ب، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص336.

(2) غاستون باشلار، جمالية المكان، ص7.

التفلسف كتمهيد واقعي لطريق التفكير الفلسفي وصانع أبعاده واتجاهاته بقدر ما تضيفه الدهشة والسؤال والشك كأليات في فكر الإنسان، والتي من خلالها ينضج التفكير الفلسفي الدائر في فلك المفهوم والإشكال والحجاج والتحليل، وكما قال أرسطو:" الدهشة هي التي دفعت الناس إلى التفلسف"[1]، فحينَ نتحدَّثُ عن التفكير الفلسفيّ يجدرُ بنا أنْ نؤكِّدَ أنَّ له مفهومُه الخاصُّ، ومجالاتُه[2] وأدواتُه الخاصَّةُ، **لفهم حياةَ الإنسانِ المعاصر، وما يعتريها من مشكلاتٍ اجتماعيَّةٍ أو اقتصاديَّة ويمارس دوره الفكري في بعديه النظري والعملي، رغم أنَّ العلومَ النَّفسيَّةَ والتربويةَ المعاصرةَ تحاول تفسير التفكيرِ الانساني بمناهجها الخاصة**، إلا أنَّ للمُمارسةِ الفكْرِية الفلسفيَّة خُصُوصِيَّاتها، لكونِها تَنتَمي لعالم ما بعدَ الفكرِ، أو ما يمكنُ تُسَمِّيَه بـ «التفكير في التفكير»، وهو ما يؤكِّدُ على استقلالية النشاط الفلسفيّ ووظيفته منذ اليونان وحتى اليوم.

1.2 المطْلبُ الأوَّلُ: الفلسفةُ بما هي تفْكيرٌ في الوجُودِ والموجُودِ.

يرى "أفلاطونُ": أنَّنا لا ندركُ أيَّ حقيقةٍ بصددِ أيّ شيء إلا من خلال التفكير، ونقصِدُ بِه التفكيرَ العقليَّ المجرَّد[3]. ويرى "أرسطُو": أنَّ التفكيرَ العقليَّ المجرَّدَ عمليةٌ تتمُّ خارجَ الجسمِ ومفارقةٌ له، رغمَ طابَعِ فلسفتِه الواقعيّ الذي يتأسَّسُ على الجسدِ وقُواهُ الإدراكيَّةِ الحسّيةِ، وأنَّ منْ فقَدَ حسًّا ما

(1) الجبوري د.سامي ، الفكر الفلسفي ومنظمة الحكمة الفائقة، ص 40.

(2) للتفكير الفلسفيّ ثلاثةُ مجالاتٍ رئيسةٍ في رأي النشَّار يدورُ عليها هذا العلمُ:

المجالُ الأوَّلُ: مسألةُ الوجودِ، وهذه هي المسألةُ الأمُّ في الفلسفةِ، ويُقصَدُ بها: البحثُ في وجودِ هذا العالم وما وراءَ هذا الكوْنِ، وفي وجُودِ الله عزَّ وجلَّ، وهذه الفلسفةُ هي التي تدُور حول الإجابةِ عنها جميعَ الفلسفات.

والمجالُ الثاني: المعرفةُ، ويرادُ منْ هذا المجالِ: الوُصُولُ إلى معرفةِ الأشياءِ وطبيعتِها، وما هي الطُّرقُ الموصِّلةُ إلى المعرفةِ، وغيرُ ذلك منَ الأمور.

والمجالُ الثالثُ: القِيمُ، وتبحثُ في فلسفة الأخلاقِ، وما يتَّصفُ به الفردُ والمجتمعُ منَ الأخلاقِ الحميدةِ والصِّفاتِ الحسَنةِ.

فهذه المجالاتُ الثلاثَةُ هي المجالاتُ الرئيسةُ للفلسفةِ، التي تدورُ عليها جميعُ الفلسفاتِ، فلا تجدُ مسألةً منْ مسائلِ الفلسفةِ إلَّا وهيَ تندرجُ تحتَ أحدِ هذه المجالاتِ الثلاثةِ. وإنَّ ممَّا ينبغي أنْ يُعْلَمَ أنَّ للفلسفةِ مناهجَ مختلفةً في طريقةِ الوصُولِ إلى الحقيقةِ. النشار مصطفى، التفكير الفلسفي: المبادئ - المهارات وتطبيقاتها، ص 10.

(3) النشار مصطفى ، التفكير الفلسفي: المبادئ - المهارات وتطبيقاتها ، ص11.

فقَدَ عِلْمًا ما ، فالتفكيرُ لديه ليس عمليةً ماديَّةً خالصةً، فبينما تتأثرُ حواسُّنا الخمسُ بكثرةِ الإحْساساتِ لدرجةٍ تَضعُفُ معها من كثرةِ الاستخدامِ، إذْ يبدأُ الإنسانُ حياتَه وقدرتُهُ على الإبْصارِ كاملةٌ ثمَّ تضْعُفُ شيئًا فشيئًا وهكذا في بقيةِ الحواسِّ[1]. **وباعتقادنا أنَّ عمليةَ التفكير لا تتأثَّرُ بضعف أدوات الادراك الحسي، بل تتقدَّمُ بكثرةِ التفكير وممارسته.**

ولعلَّ ما يراه "راسل"[2] حولَ العملياتِ العقليَّةِ، يتناغمُ مع هذا المعنى في التَّفسيرِ، فالإنْسانُ منَّا يُولدُ ولديْه قوةُ العقل، أيْ: لديه الاستعدادُ للتفكيرِ العقليّ دونَ أنْ يكُونَ قادرًا عليه فعلًا، وعندما تبدأُ قُواهُ العقليَّةُ في النُّموِّ تبدأُ في تلقِّي الإدراكاتِ الحسِّيَّةِ المباشرةِ عبرَ الحواسِّ الخمْسِ، ثمَّ تنْمُو أكثرَ فيبدأُ المرؤُ في فلسفة الأفكارِ البسيطةِ الموروثة التي تأتي عبرَ الآباءِ والأُمَّهاتِ والأهلِ والأصْدِقاءِ والمحيطِ الاجْتماعيّ من حوله، **وإن كان تفكيرا ساذجا وبسيطا.**

إن التفكيرُ الفلسفيُّ في أبْسَطِ درجاتِه، يبدأُ في البحْثِ عن المبادئِ الأسَاسيَّة للتفكيرِ، وبهذا ينتقلُ إلى تعلُّمِ مبادئِ الاسْتِدلالات المنطقيّةِ الصَّحيحةِ ويميّزُها عن الاستدلالاتِ الخاطئةِ، ومنْ ثَمَّ يمتلكُ القدرةَ على التَّمييزِ بدايةً بينَ العباراتِ التي يستَخْدِمُها استخدامًا عَشْوائيًا، وبين العباراتِ التي يُمْكنُ أنْ تكونَ البدايةَ للتفكيرِ المنطقيّ والعِلْميّ على حدٍّ سواءٍ.

لذا يرى الباحثُ أنَّ دور المهاراتِ وأثَرَها في الفعل الفلسفيّ؛ كونَها ميدانًا عمَليًّا واضحًا، وأهمُّها مَهارةُ طرحِ السُّؤال في الحواراتِ عامَّةً والتي تكونُ باستخدام طريقِ الدَّهشَةِ الذي يكونُ باستخدام أساليبِ: (ما؟ ومن؟ وماذا؟ وماذا لو؟ وكيف؟) وهو استخدامٌ عمليٌّ سار عليه الفكرُ الفلسفيُّ في مباحثِه ونقدِه وطُرُقِ تفكيرِه ، لذا يظل التساؤُلَ والتأمُّلَ ذَو طبيعةٍ مجرَّدةٍ تنْأَى عنِ المحسوسِ والمادِّيّ مركّزةٍ فيما وراءَهُ، وتتجاوز الجزئياتِ إلى الكُلِّ الذي يجمعُها، وتتجاوزُ هذا الكلَّ الذي يجمعُها إلى التساؤُلِ عن علَّتِهِ الأُولَى وعنْ مُبْدعِ الجزئياتِ والكلِّيَّاتِ معًا.

(1) النشار مصطفى ، التفكير الفلسفي: المبادئ - المهارات وتطبيقاتها، ص12.

(2) راسل: (1872 -1970م) ، فيلسوفٌ وعالمُ منطقٍ وشخصيَّةٌ بريطانيةٌ، أَسْهَمَ في تطوُّر المنطق الرياضيّ الحديثِ، وذهب إلى أنَّ الفلسفةَ تستمدُّ مشْكلاتِها من العالم الطبيعيّ، وأنَّ مهمَّتَها تحليلٌ وتفسيرٌ ماديٌّ لمفهومِ العالم الطبيعيّ، وأنَّ ماهيَّةَ الفلسفةِ المنطقُ التَّحليليُّ (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 222).

إنَّه التساؤلُ الذي يرتفعُ منَ المحسوسِ إلى المعقولِ بلُغَةِ "أفلاطونَ"، ويتجاوزُ الموجودَ المادّيَّ إلى صُورتِه المجرَّدةِ ثمَّ إلى صورةِ الصُّوَرِ؛ أي: «الإلهِ» بلُغةِ "أرسْطُو"، ومِنْ ثَمَّ عُرِفَتِ الفلسفةُ في الزَّمنِ القديمِ - بل وفي العصُور الوسْطى، مسيحيَّةً وإسلاميَّةً أيضًا - بالعلمِ الإلهيّ، وكانَ التوفيقُ بينَها وبين الدِّين مسألةً حيويَّةً في ذلك الزمانِ، إلى أنْ نجحَ الفلاسفةُ والعلماءُ؛ ومنْ ثمَّ نجحَ البشرُ عمومًا، في الفصْل بين الدِّينِ والفلسفةِ والعلمِ، وصار كلٌّ له مصدرُه ومنهجُه الواضِحُ، وموضوعاتُه المختلفةُ.[1]

من خلالِ ما سبقَ نُدْرِكُ أنَّ الفلسفةَ تتراوحُ في تفكيرِها بينَ مسألتَيْنِ مُهمَّتيْنِ قديمتيْنِ معاصرتيْنِ هما التفكيرِ في الوجودِ والتفكيرِ في الموجُودِ.

فالفلسَفةُ إذا تفكيرٌ في الوجُود باعتبارِه الموضُوعَ الفعليَّ للفلسفةِ، فهي "علم الوجود"[2] بما هو وجُودٌ على حد عبارةِ أرسْطُو، ولكنَّها مِنْ جهةٍ أُخْرى، نراها تفكيرًا في الموجودِ باعتبارِ أنَّ مسائلَها التي تطرحُها للنَّظرِ والتَّحليلِ والنَّقْدِ هي الموجوداتُ جميعُها، وبتعبير الفارابي[3]: الفلسفةُ هي العلمُ بالموجوداتِ بما هيَ موجودةٌ على قدْرِ الطَّاقةِ الإنسانيةِ.[4]

(1) النشار مصطفى ، التفكير الفلسفي: المبادئ - المهارات وتطبيقاتها، ص 13.

(2) ويأتي هذا المصطلحُ عنِ الفلاسفةِ ضِمْنَ مجالاتِ الفلسفةِ ومفهومِها ومباحثِها الكُبرى بهدف الوصولِ للحقيقةِ، وهو مَسَارٌ رئيسٌ منْ أساليب الحكمةِ ومنهجِها، وهو الذي يبقى سائدًا في تاريخ الفلسفةِ إلى يومِنا هذا كما في التعريف الأرْسْطيّ كونَ الفلسفةِ هي «علم الوجود بما هو موجود». انظر كتاب الميتافيزيقيا كتاب الألف الكبرى، وقد جرى كذلك عن الفارابي في كتابه "الجمع بين رأي الحكيمين"، بأنها: «العلم بالموجوداتِ بما هي موجودة»، وهنا ندرك أنَّ مبحثَ الوجُود "نظرية الوجود" تطرحُ الأسئلةَ الكبرى: ما الوجودُ؟ كيفَ هو الوجودُ؟ لمَ هو موجُودٌ؟ ضمن سياقات المعرفة.

(3) الفارابي، أبو نصر محمد Al Farabi (870هـ (تقريبًا) -950م)، الملقب بـ «المعلم الثاني»، في مقابل أرسطوطاليس الملقب بـ «المعلم الأول». وُلِد في فاراب (التي استمدَّ منها اسمه) في تُركسْتانَ، وتُوُفِّي في دمشقَ، ويُعدُّ من أعظم فلاسفة العربِ. درس في بغدادَ وحَرَّانَ، ثم أقام في حلبَ في بلاط سيفِ الدولة الحمْدانيّ. لُقِّبَ بالمعلِّم الثاني على أساس أنَّ المعلمَ الأوَّلَ في ذلك العصر كان هو أرسطو، راجع: ابنُ خَلِّكَانَ، وفَيَاتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمان، (ج4 / ص 239-243).

(4) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، الجمع بين رأي الحكيمين، ص 24.

وبالمقارنةِ بينَ التعبيرَيْنِ، نرى أنَّ الفلاسفةَ القُدامَى - يونانَ ومسلمين - ينظرون إلى الوجُود باعتبارهِ كليَّةَ الموجوداتِ، ومنْ ثمَّ فإنَّ النظرَ في الوجُود يكونُ منْ خلال النَّظر في الموجوداتِ، أيْ: في موجُوداتِه، وهذا النَّظرُ هو الذي جعلَهم يُقسِّمونَ الوجُودَ إلى: وجُودٍ في الذِّهْنِ، ووجُودٍ في الأعْيانِ، ووجُودٍ في الرَّسْمِ والكَلامِ ، وتقسيمُ الموجوداتِ هذا يعُودُ في نَسَبِه الأوَّلِ إلى نظريَّةِ تقسيمِ الوجود بشكلٍ عامٍّ، أيِ النظر إلى الوجُودِ من جهةِ كونِه: واجبًا، أو ممكنًا، أو مستحيلًا. (1)

ووفقا لما سبق، نجدُ التلازمَ الدائمَ في النَّظرِ بينَ مفهومَيِ الوُجُودِ والموجُودِ وكأنَّهُما واحدٌ، وهو ما يفسِّرُ أيضًا تعريفَنا للفلسفةِ باعتبارها نظرًا في الوجودِ أو باعتبارِها نظرًا في الموجوداتِ(2).

أمامَ هذا التلازمِ وقفَ "هيدغر"(3) **موقفا نقديًا منه، وبيَّنَ العُمقَ الميتافيزيقيَّ فيه بسبب هذا التلازمِ وعدم التمييز بين الكائنِ والكَيْنُونةِ، هوَ** الذي أوْقعَ الفلسفاتِ القديمةَ في فَخِّ الميتافيزيقا، وجعل تاريخِ الفلسفة تاريخَ نسيانِ الوجُودِ، لكونها وَعَدتْ بالنظرِ في الوجودِ ولكنَّها لم تنْظُرْ إلا في

(1)أمَّا واجبُ الوجُودِ: فهوَ الذي لا يمكنُ تصوُّرُ عدمِه، لأنَّه إنْ تصوَّرْنا عدمَهُ نتجَتْ عنه استِحالَاتٌ عقليَّةٌ عديدةٌ، منها أنَّه لا يوجَدُ وجُودٌ إطْلاقًا، وهُو قولٌ محالٌ، لأنَّ الوجُودَ حاصِل وقائمٌ في الأَذْهانِ والأعْيانِ واللِّسان، لأجل هذا تم تقسيمه هوَ الآخر إلى واجبِ وجُودٍ؛ بذاتِه وهو خاصٌّ بالموجُودِ الأوَّلِ، أيِ: الوجودُ الإلهيُّ الذي إن تصوَّرْنَا عدمَهُ انْعدَمَ كلُّ شيءٍ معه، وما دام الوجُودُ قائمًا فالموجُودُ الأوَّلُ قائمٌ ضرورةً، ويجبُ أنْ يكونَ وجودُه ذاتيًّا فيه. وهو ما يخالفُه واجبُ الوجودِ بغيرِه، أيْ: بقيَّةُ أشكال الوجودِ، أيْ: بقيةُ الموجوداتِ، فهي موجودةٌ بغيرِها، أيْ: بالموجودِ الأوَّلِ، أي: واجبِ الوجودِ بذاتِها . أمَّا ممكِنُ الوجودِ: فهو الذي يحملُ إمكانيَّة وجودِه وعدمه، وهو ما يُطلَقُ على وجود الموجوداتِ عمومًا، لكونِها في حقيقتِها الأُولى ممكنةَ الوجودِ، وواجبُ الوجودِ بذاتِه أي: الموجودُ الأوَّلُ هو الذي أعطاها الوجودَ فصارتْ موجودةً، أيْ: خرجتْ منَ الإمْكانِ إلى الفِعْلِ . أما ممتنعُ الوجُودِ أو محالُ الوجُودِ: فهو الذي إذا تصوَّرْنا وجودَهُ نتجَ عنه محالٌ عقليٌّ، لأنَّ المستحيلَ ليس ضرْبًا من ضُروبِ الوُجودِ، لكونِه لا يَحْملُ إمكانيَّةَ أنْ يُوجَدَ أصلًا.

(2) ونستنتجُ منْ هذا كلِّه أنَّ هذا المبحثَ في عمومِه يشكِّلُ بُعْدًا عَمليًّا في التَّفكير، وأثرًا في سياقِ النظرِ المعرفيِّ بما يحمِلُه مِنْ مصادِرَ وأدَواتٍ وأشْكالٍ ونتائجَ، وهي مساراتُ تدرُّجٍ في التفكيرِ العمليِّ بما يحقِّقه من نتائج علميَّة وتطبيقيَّة.

(3) هيدغر مارتن (1889 – 1976م) أحد مؤسِّسي الوجوديَّة، منْ أهَمِّ أعماله "الوجُودُ والزَّمان"، و"مدخل إلى الميتافيزيقا"، وتأتي فكرةُ الزمانيةِ كأحدِ أهمِّ مقولاتِه، وترتبطُ فلسفتُه بالنَّزَعاتِ اللاعقلانيةِ عند كيركجارد بفلسفةِ الحياةِ والظواهرِ. (الموسوعةُ الفلسفيةُ، يودين.م. روزنتال، ص565).

الموجوداتِ ونسيَتْ موضوعَها الأوَّلَ، وهو الكينونةِ ذاتها، ولم تستطعْ مغادرةَ الكائنِ ، وإلى جانبِ التصوُّرِ الذي بناه "هيدغر" للفلسفة باعتبارها فلسفةً في الوجودِ وليستْ فلسفةً وجوديَّةً، نجد الفكرَ المعاصرَ مع "جيل دولوز"[1] ينظرُ إلى الفلسفةِ باعتبارها ليستْ نظرًا في الوجُودِ، وإنَّما هي نظرٌ في المفاهيم وإنشاءٌ لها.

ورغمَ أنَّ الترجمةَ العربيةَ لإرْثِ دولوز الفلسفيِّ استعملتْ مصطلحَ المفهومَ فإنّي أرى أنَّ المصطلحَ الصائبَ هو مصطلحُ "التصوُّرِ" «concept»[2]. **وهو المجال النظري للفلسفة، وبناء رؤيتها للعالم وفق برهانها التصوري** ، وفي هذا السِّياقِ يقرِّبُ "دولوز" الفلسفة أكثرَ إلى الحياةِ الإنسانية لكونها تعبِّرُ عن التجربةِ الحياتيةِ بما هي تجربةٌ رُوحيةٌ وخبرةٌ زمنيةٌ، إنَّه تصوُّرٌ للفلسفةِ استفاد منَ "النَّقْد النِّيتْشويِّ"[3]، الذي وجَّه مِطْرقَتَهُ النَّقْديَّةَ إلى تاريخِ الفلسفة أو الفكرِ البشريِّ بما هو تاريخُ صناعةِ الأصنامِ والأوثانِ.

(1) جيل دولوز: (1925 – 1995م) فيلسوفٌ فرنسيٌّ كتب في الفلسفةِ والأدبِ والفنِّ في الخمسيناتِ، وصاحبُ كتاب "الفرق والتكرار"، وهو ممن دَعَا إلى كسْرِ طوْقِ العقلانيَّةِ الأداتية وتحريرِ الإنسانِ المعاصر، وتميَّزتْ فلسفتُه بالابتكارِ والإبداع، (دولوز، 1997م، مقدمة المترجم) انظر كتابه، جيل دولوز "ما هي الفلسفة"،. ترجمة مطاع الصفدي، المركز الثقافي العربي، المقدمة.

(2) التصوُّرُ: الصورةُ الحسِّيةُ المعمَّمةُ للأشياء وظواهر الواقع التي تحتفظُ بها وتتردَّد في الوعْي دونَ فعلٍ مباشرٍ من الأشياء والظواهرِ على الحواس، وهو مفهومٌ يمكِّنُ الوعْيَ من العملِ والتجْربةِ. (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 127).

(3) النقد النيتشوي: العودة إلى نيتشه في هذا السياق مهم لفهم التحولات الفكرية العميقة التي حدثت في الفكر الفلسفي المعاصر وتدشين عصر ما بعد الحداثة وفلسفاتها النقدية ومناهجها الجديدة بمختلف تياراتها التي وجهت الفلسفة اليوم للحفر في الواقع اركيولوجيا وفي التاريخ جينيالوجيا والاقتراب لحياة الإنسان الحية والفعلية بعيدًا عن التأملات النظرية المجردة وبناء نظرة مؤمنة بالإنسان وفاعليته في واقع الحياة، تأسيسًا لفلسفة الإنسان الأعلى الفاعل والمتجدد باستمرار.

2.2 المطْلبُ الثَّاني: الفلسفةُ بما هي فعلٌ في الوجودِ الإنسانيّ وتغييره

تبرُزُ العلاقةُ بين الفلسفةِ بما هي فعلُ الوجُودِ الإنسانيّ ونمطُ حضورِه في العالم، بوصفِها قوَّةً فاعلةً في الحياة اليوميةِ بجميعِ تمظْهُراتِها النظريَّةِ والعمليَّةِ ضم غائيَّة عمليَّة صريحة لتؤكِّدَ على هذه الفاعليَّةِ الإنسانيَّةِ. فما هي أهمُّ أو أبرزُ مظاهرِ علاقةُ الفلْسَفةِ بالحياةِ الإنسانيَّةِ؟

إنَّ التفكيرَ الفلسفيَّ رغم تعدُّدِ أنماطِه وتطبيقاتِه يشتملُ حتْمًا على بُعدٍ فلسفيٍّ واضِحٍ؛ لأنَّه ما إنْ يُعمِل المرؤُ عقلَهُ في تأمُّل أيّ موضُوعٍ أو في محاولةِ حلّ أيّ مُشْكلةٍ فهوَ هُنا يَبْدأُ التفكيرَ الفلْسفيَّ، أيْ: يبدأُ في التفلْسُفِ، **الذي هو دخولٌ في الفلسفةِ**، والاستقلالُ عن تاريخِ الفلسفةِ منْ خلالِ الاشْتِغالِ به- **حسب هيدجر**-.

ويختلِفُ نمطُ التفكيرِ الفلسفيّ الذي يمارسُهُ تبعًا للغايةِ التي يريدُ تحقيقَها أو للهدفِ الذي يريدُ التوصُّلَ إليه، فإنْ كانَ الهدفُ حلَّ مشكلةٍ حياتيَّةٍ فهو هنا يمارسُ تفكيرًا فلسَفيًّا عَمليًّا، وإنْ كانَ الهدفُ التوصُّلَ إلى حلّ مشكلةٍ علميَّةٍ فهو يفكِّرُ تفكيرًا فلسفيًّا علميًّا، وإنْ كانَ الهدفُ التوصُّلَ إلى حقيقةٍ **مجرَّدة**، مثل الحريةِ والنفْسِ والألوهيَّةِ. الخ، فهُوَ يفكِّرُ بطريقةٍ فلسفيَّةٍ نظريَّةٍ مجرَّدةٍ، وهذِهِ هيَ أعلَى درَجَاتِ التفكيرِ الفلسفيّ إنَّه الانتقالُ منَ الفلسفةِ العمليَّةِ إلى الفلسفةِ النظريَّةِ[1].

لقد ظلَّ "أرسطو" بمنهجِه وبكتاباتِه العلميَّةِ والفلسفيَّةِ، مسيطرًا على الفكرِ الإنسانيّ لأكثرَ من عشرين قرنًا تاليةٍ، إلى أنْ نجحَ فلاسفةُ العصرِ الحديثِ بَدْءًا من "فرنسيس بيكون" و"ديكارت" في تجاوُزِه بابتداعِ مناهجَ جديدةٍ في التفكيرِ العلْميّ والفلْسفيّ، بعد نقدِ منهجِه وخاصَّةً في صورتِه المدرسيَّةِ الجامدةِ التي كبَّدَتْ تطوُّرَ الفلسفةِ والعلومِ ردْحًا طويلًا منَ الزَّمنِ.

(1) من هُنا نستطيع أنْ نؤكِّد أنَّ الفلسفةَ تستطيعُ أنْ تؤديَ مهامَّ كبيرةً في جميع ميادينِ الحياة التعليميَّةِ والتربويةِ وتقويمِ السُّلوكِ ورسم الخطط في ميدانِ الحياة، بالإضافةِ لتشجيعِها للتفكيرِ الحرّ المستقلّ؛ كونها تمنحُ العقلَ المعرفةَ التي يمكنُ الوصولُ إليها، المعرفةَ المتعلِّقةَ بالكونِ والإنسانِ والحياةِ، والمتعلِّقةَ بطبيعةِ الواقع وكيفيةِ تغْييرِه.

وقد قدَّم "بيكونُ"[1] رؤيتَه لمنهج علميٍّ جديدٍ كونه اسْتَندَ ببساطةٍ على البَدْءِ بملاحظةِ الظواهرِ الطبيعيةِ وتسجيلِ الملاحظاتِ عنْها ثم تفسيرِها منْ خلال تصنِيفِ هذه الملاحظاتِ واستبعادِ الفروضِ غيرِ الصحيحةِ في تفسيرِ هذه الظاهرةِ أو تلك، ثم تفسيرِها من خلال الفرضِ الذي تؤكِّدُه مجموعةُ الملاحظاتِ التي سجَّلْناها عنِ الظاهرة ذاتِها ، ولقدْ كشَفَ بمنهجِه الاستقرائيِّ الجديدِ - الذي شاركَهُ في الكشْفِ عنِ الكثيرِ منْ عناصرِه "جون ستيوارت ميل" - في التنبُّؤ بصورةِ المستقبل من الناحية العلمية، وماتَ وهو يدشِّنُ صورةَ هذا المستقبل أثناءَ إجرائِهِ إحْدَى التجاربِ المهمَّةِ في اسْتِجلاءِ حقيقةِ أنَّ البُرودةَ الشديدةَ تحفَظُ اللُّحومَ منَ التعفُّنِ، وهيَ فكرةُ الثلَّاجةِ التي ننعَمُ بها حتَّى الآنَ.

وعلى الجانبِ الآخرِ نجحَ الفيلسوفُ "ديكارت"[2] في نقدِ فلسفاتِ عصرِه وكشَفَ جُمودِها، معلنًا منهجَهُ الفلسفيَّ الجديدَ الذي يبدأُ بالشَّكِّ أو الشك المنهجي الذي يقوم على فحص المعارف والآراء والتمييز بينها، وذلك لغاية مهمة هي تأسيس العلوم، فقد عبر عن الذات المفكرة بالكوجيتو" أنا أفكر أنا موجود" حيث يوحي الكوجيتو الديكاراتي بأن الفكر له الأسبقية المنطقية في الخروج عن غياهب الشك إلى نور اليقين، فقرر في تأملاته [3] أن الفكر تابع للصدق الإلهي فالله في نظره ضامن الحقيقة وضامن صحة الفكر، **فقدم** بفلسفتِه العقليَّةِ **أنموذجًا** احتذاهُ فلاسفةٌ **آخرون بعده ليدشِّنوا عصرًا جديدًا في أوربا**، هو عصرُ العقل ، لذا أصبحَ العصرُ الحديثُ عصرَ العقل وعصرَ العلمِ في آنٍ معًا، بفضل ريادةِ المذهبِ العقليِّ الجديدِ لـ"ديكارت"، والرؤيةُ المنهجيَّةُ العلميَّةُ الجديدةُ لبيكونُ" ومن جاء من بعده ، وما الفلسفةُ التنبؤيَّةُ الاسْتِشرافيةُ إلَّا تدشين لفروع فلسفيةٍ جديدةٍ، مثل فلسفةِ التاريخِ، وفلسفةِ الحضارة، وفلسفةِ البيئةِ، وغيرِها، والتي قامتْ لتنقُدَ التقدُّمِ الذي حقَّقتْهُ البشريةُ في العصر الراهن، وتحذِّرُ من مخاطرِه المستقبلية على البيئةِ التي يحيا فيها الإنسانُ أو على الإنسانِ نفسِه.

---

(1) فرنسيس بيكون (1561- 1626م) فيلسوفٌ إنجليزيٌّ ومؤسسُ الماديةِ الجدليةِ والمنهجِ التجريبيِّ وناقدُ المنطقِ الأرسطيِّ وصاحبُ رسالة " الأورغانون الجديد " وكان يعتقدُ أنَّ التعلُّمَ ما يكشفُ العللَ الخفيَّةَ للأشياء وينبغي أنْ يكونَ عقليًّا لوقائعِ التجربةِ وأنَّ ذلك هو ما يخلصُ العقلَ من العاداتِ السَّيئةِ أو ما يُسمِّيه الوسائطَ البديهيةَ (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 99).

(2) رينيه ديكارت (6951 – 1650م) فيلسوفٌ فرنسيٌّ وعالمٌ رياضيٌّ والذي تمكَّنَ من إعادةِ بناءِ العلومِ الحديثةِ والفلسفةِ الحديثةِ ولقَّبهُ عصرُه بأبي الحداثة، كما أنه الذي أكَّد على أنَّ الغايةَ القُصْوى من المعرفة تحكُّمُ الإنسانِ في قوى الطبيعةِ وإدراكُ العللِ ومن أهمِّ كتبه " مبادئ الفلسفة. (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 209).

(3) ديكارات، رونيه، التأملات في الفلسفة الأولى ، ص 52.

3. المبحثُ الثاني: في معنى الحكمةِ العَمَليَّةِ وضروتها وأقسامها .

حرصت الفلسفة منذ نشأتها على الحكمة وعلومها كونها اكتساب العلم من التعلم أو من التجارب ويقاربها في المعنى كلمة الخبرة ، لأن علوم الحكمة حقل في التفكير والبحث ، ويهدف بشكل مهم إلى فهم أسرار الوجود والواقع ، من هنا تبرز ضرورتها العملية؛ لكونها مرتبطة بفلسفة القيم والسياسة والمجتمع؛ ولأنها تهدف إلى تدبير الأفعال الإنسانية وتحقيق الخير والحق والجمال.

لذا يعبر"كارل ماركس"[1] أن الفلسفة تصف تمثيلها الزمني على أنها ناشئة عن ذلك العصر، فليست الفلسفة بالنسبة لتلك الآفاق البعيدة التي لا تؤثر على الزمن ، فالفلاسفة لم يخرجوا من الأرض مثل النباتات، لكنهم خرجوا من ثمار العصر والبيئة التي عاشوا فيها لأن الطاقة الأكثر دقة وثمنًا وإخفاءً للناس تتجسد في التفكير الفلسفي، فالفلسفة ليست خارج عن الواقع بل منه؛ لأن كل فلسفة حقيقية هي زبدة العصر، فمن الضروري أن يكون هناك عقد للفلسفة مع الواقع بحيث تكون بين العصر والفلسفة علاقة متبادلة، وهذه العلاقة شاملة من الداخل من حيث محتواها، ومن الخارج من حيث مظهرها، ونتيجة لذلك فالفلسفة لن تعود تضارب الآراء والمذاهب بل هي مجابهة للواقع المعاش، أي فلسفة الزمن الحاضر.[2]

1.3 المطْلبُ الأوَّلُ: مظاهرُ الحكمةِ العمليَّةِ وأقْسامُها

1.1.3 الفلْسَفةِ فهْمٌ للواقع وتغْييرٌ لهُ:

يأتي دور الواقع وفهمه كبعد عملي يشمل جوانب كالعمل والفن والمادي مهم باعتبار الواقع رافدا من روافد المعرفة والتفكير الفلسفي وباعتبار المعرفة مؤثرا من المؤثرات في الواقع وخدمة الواقع المعيشي الإنساني، والحقيقة أن هذا من إنجازات الفكر الفلسفي الإسلامي لذا نجد مثلا ابن خلدون

(1) كارل ماركس: (1818 – 1883م) مؤسِّسُ الاشتراكية العلميةِ والماديةِ الجدليةِ والماديةِ التاريخيةِ والاقتصادِ السياسيِّ والعلميِّ، من أهمِّ كتبه "نقدُ الاقتصادِ السياسيِّ"، وتميزتْ فلسفتُه بالتطوُّر التطبيقيِّ والعلميِّ في ق19م وق20م، ومدافع عن موقفِ البروليتاريا، وممثِّل للنِّضالَ السياسيَّ (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 438).

(2) أطروحاتٌ حولَ فيورباخ، كارل ماركس، (الفقرة 11)، راجع:

Georges Labica , Karl Marx. Les Thèses sur Feuerbach (Syllepse, 2014).

يربط الواقع العملي إلى الفكر من خلال بحثه عن الآلة التي يتميز بها الإنسان عن غيره، فربط الإدراك بالواقع فقال:" الإدراك هو شعور بالمدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته " ، فهو يرجع قدرة الإنسان إلى إدرام الفكر إلى قدرته على الإدراك الواقع الخارجي ويكمل قائلا" ويزيد الإنسان عن الحيوان أنه يدرك الخارج عن ذاته الفكر الذي وراء حسه"[(1)].

وفي المقابل نجد الفكر الغربي وفلاسفته المعاصرون ميزوا أنواع الحكمة في بعديها النظري والعملي في محاولة لإيجاد العلاقة بين ما هو مادي وما هو عقلي وهو ما حرصت عليه فلسفة المرتبطة بالواقع عند صاحب المدرسة الوضعية التي أسسها أوغست كونت والتي تعد من أهم الفلسفات نضوجا لأنه أبعد عن الفلسفة قضايا الميتافزيقيا أي القضايا غير العملية وجعل مهمة الفلسفة تتبع نتائج العلم والجمع بينها في نسق فكري واحد لذا نجده يقول :" أما اليوم فإن كل واحد من العلوم قد تطور بشكل مستقل بحيث إن البحث في علاقتها المتبادلة يعطي المكان لعمل تابع لهذا التطور ي الوقت الذي يصبح فيه النظام الجديد من الدراسات أمر لا غنى عنه لاتقاء توزع المفاهيم الإنسانية"[(2)]

ولعل الاهتمام الفلسفي بالواقع وأثره مظهر عملي لتطور العلم واتساع نفوذه المعرفي في جميع المسائل التي يضعها العقل أمامه، ولا شكَّ أنَّ محاولاتِ الفلسفةِ هذه -وغيرها- للفهمِ وفهْمِ الفهمِ لا تزالُ متواصلةً قصدَ إدراك كنْهِ الوجودِ عمومًا والوجودِ الإنسانيّ خصوصًا، وإنَّ محاولاتِ الفهم المتواصلةِ لخَّصها الفيلسوفُ "كارل ماركس" بقوله: «رأى الفلاسفةِ في كلِّ العصور أنَّ هدفَ الفلسفةِ هو تفسيرُ العالم، ولكنَّنا نرى أنَّ هدفَ الفلسفة هو تغييرُ العالم»[(3)].

(1) بن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، ص108.

(2)أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية ج1 الفلسفة الأولى، ص31.

(3) أطروحاتٌ حولَ فيورباخ، كارل ماركس، (الفقرة 11) ، راجع:
Georges Labica , Karl Marx. Les Thèses sur Feuerbach (Syllepse, 2014).

لذا مسألةَ الوجودِ تبقى المسألةَ الأهمَّ والأسمى، لكونها الاسمَ الجامعَ للمعلومِ الأسْمَى الذي لا تزالُ الفلسفةُ تحيطُ به بحثًا دونَ أنْ تدركَ معناه وكنهَه، منْ عَهْدِ "أفلاطون"، إلى "هيجل، بل ربَّما إلى المدارس الفلسفيةِ المعاصرة، مثل (الظاهراتية) ومناهجَها التأويليةَ التي أسسها "هوسرل"[1].

وعلى حد تعبير ماركس وحرصه على أن يجعلَ الفلسفةَ تمشي على قدمَيْها، وأنْ نحوّلَ قوانينَ الجدل المثاليّ إلى قوانينِ الجدل الماديّ، وعندها ستمدُّنا هذه القوانينُ بالفهم والتفسيرِ من جهةٍ، وأدواتِ الفعل والحركةِ والتغيير من جهةٍ أخرى. وهو ما حدثَ فعلًا حينَ تمكَّن "كارل ماركس" مع صديقِه "أنجلز" من إعادةِ صياغةِ فلسفةِ "هيجل" صياغةً مادّيةً، وقدَّم لنا تفسيرًا ماديًّا لحركةِ الواقعِ الماديّ، وقدَّم لنا شروطَ الفعل فيه وتغييره، فنشأ على يديه ما عُرف في تاريخ الفلسفةِ الماركسيةِ بالحركاتِ الثَّورية الاجْتِماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والسياسيَّةِ، وبالتالي حركة الأفكار وتغييرها.

لذا قال :«ليس وعْيُ الناسِ هو الذي يحدِّدُ وجودَهم، بل على العكسِ من ذلكَ، وجودُهم الاجتماعيُّ هو الذي يحدِّدُ وعيَهُم»[2]، هذا هو قانونُ الحركةِ عند "ماركس"، وحركة التغييرِ لا تنطلقُ من وعْيِ البشرِ كما هوَ سائدٌ عند أغلب الفلسفاتِ والمفكّرينَ بشكل عامٍّ؛ لأنَّ الوعيَ والفكرَ في حقيقتهما ليسَا إلا انْعِكاسًا للوجودِ الاجْتِماعيّ، وليس العكسُ كما تصوَّرَ "هيجل" قبلَه ، وإذا كانَ الوجودُ الاجتماعيُّ المحرِّكُ لكلّ تغيرٍ اجتماعيٍّ فدورَ الفلسفةِ يجبُ أن يتوجَّه إلى الواقع الاجتماعيّ وكشف آليَّاتِه الاقتصادية التي تحركُه.[3]

(1) إدموند هوسرل (Edmund Husserl): (1859 – 1938م)، فيلسوفٌ وعالمُ رياضياتٍ ألمانيٌّ ومؤسِّسُ مدرسةِ (الظاهراتية أو الفينومينولوجيا) بالقرن العشرين، وهو مذهبٌ فلسفيٌّ يقومُ على أساس أنَّ ظواهرَ الوعيِ أو المعطياتِ المباشرة - والتي تتمثَّلُ في أفعالِ الفكْر - يجبُ أنْ تكُونَ محلَّ الاهتمام الأوَّل من جانبِ الفلاسفة، وعليهم ألا يقوموا بإصدار الأحكام على تلك الظواهر، وهو ما يُعرف بـ«مبدأ تعليق الحكم» (يودين.م. روزنتال، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ص 563).

(2)ماركس وأنجلس، الإيديولوجيا الألمانية، (ص 131).

(3) وقد جسَّم "ماركس" هذا التصوَّرَ الواقعيَّ والماديَّ من خلال نقدِه للاقتصادِ السياسيّ الكلاسيكيّ، أي: الاقتصادِ الرأسماليّ وتحليل آلياتِ فعلِه تمهيدًا لحركةٍ ثَوْريَّةٍ تُعْلِي منْ شأْنِ البروليتاريا - أي: ثورة العُمَّال - وبناءِ المجتمع الاشتراكيّ كمرحلةٍ تمهيديةٍ ستؤدِّي ضرورةً - ضمْنَ إيمانٍ بحتميَّةٍ تاريخيةٍ - إلى تحقيقِ الثورة الشيوعيَّة وانتهاءِ الدولة نهائيًّا.

ولقد نجحَ "ماركس" على الأقلِّ في جعل العمَلِ الفلسفيِّ مرتبطًا بالإنسانِ الحيِّ الفعليِّ، وليس الإنسانَ الفكرةَ الَّذي سادَ تاريخَ الفلاسفةِ.

فَمَاذا نعني بالجانبِ العمليِّ منْ وجْهةِ نظرٍ فلسَفيَّةٍ؟

إنَّ عودةَ الفلسفةِ إلى السؤال السُّقراطيِّ الأوَّل، واستفادتَها من ابتعادِ الميتافيزيقا ونقدِها مع أعمال "هيوم" و "كانط"، والفلسفةِ الوضعيةِ، والوضعيةِ المحدثةِ أيضًا، وغيرها منَ المحاولاتِ التي غيرتْ وجهةَ الفلسفة اليوم، وكأنها بهذا أعادتِ الفلسفةَ من السَّماءِ لتُسكِنَها الأرضَ من جديدٍ، وما قام به "ماركس" حينَ أعادَ الفلسفةَ إلى قدمَيْها بعدما كانتْ تمشي على رأسِها مع "هيجل" ليس ببعيد.

إنَّ الفلسفةَ اليومَ أعادتِ اكْتِشافَ نفسِها الجوهريةِ، حيثُ أعادتْ توجيهَ نظرِها إلى الإنْسان الفعليِّ في حياته اليوميَّة ، يقولُ الدكتورُ فتحي التريكي في مطلعِ كتابه "فلسفةُ الحياةِ اليوميَّةِ": «أريدُ أنْ أتناولَ بالبحثِ إشكاليَّةَ علاقةِ الفلسفةِ الحاليَّةِ بالواقع المعاش، ومَطْمَحُنا في كلِّ ذلك هو التأكيدُ على ضرورةِ التفكيرِ الملِحِّ في مجتمعِنا الحالي، تلك التي هيمنَتْ عليها النظرياتُ الإقْصائيةُ التي ترتدِي تارةً ثوبَ التكنولوجيا مؤكِّدةً أنَّ الفلسفةَ ما هي إلا أضغاثُ صالوناتٍ، وتارةً أُخرَى ثوبَ التديُّنِ لتُعلنَ أنَّ الفكرَ الفلسفيَّ يُعادِي في كُنهِه الإيمانَ»[1].

مِنْ هنا نستطيعُ القولَ أنَّ الحياةُ اليوميَّةُ هي موضوعُ الفلسَفةِ اليوم، هي اللامُفَكَّرُ فيه في تاريخِها وعودتِها إليه، ولعلَّ هذا الاتجاهَ للفلسفةِ اليومَ جعل الإنسانَ بمختلفِ توجُّهاتِه وتنوعاتِه العَقَديَّةِ والسياسيَّةِ والإيديولوجيةِ وغيرها يمثِّلُ الموضوعَ الأسْمَى للفلسَفةِ.

فمَاذا نعني بالعمليِّ في الفلسفةِ أو ما يُمكِنُ أنْ نُسَمِّيَهُ: بالحكمةِ العمليَّةِ؟

منذُ تاريخِ الفلسفةِ الأوَّل ونحنُ نحملُ الدَّرسَ الأفلاطونيَّ المستفادَ منَ التجربةِ السُّقراطية، وهو درسٌ عميقٌ يميِّز بين نمطَيْنِ من الفلاسفةِ أو الفلسفاتِ، بين الفيلسوفِ الحقِّ والفيلسوفِ الباطلِ ، وقد استفادَ الفارابيُّ من هذا التقسيمِ، وعمَّقَ تحليلَ هذيْنِ النَّمطيْنِ، وأعادَ تحليلَ التقسيمِ الأفلاطونيِّ في اتِّجاهِ رسمَ ملامحَ الفيلسوفِ الحقيقيِّ؛ فيلسوفِ المستقبل وكيف يمكنُ تربيتُه وإعدادُه،

(1) التريكي فتحي ، فلسفةُ الحياةِ اليوميةِ، ص 53.

فميَّز بينَ الفلسفةِ الحقَّةِ والفلسفةِ البتراءِ، والفيلسوفِ الحقِّ وفيلسوفِ الزُّورِ، وجعلَ منَ العلمِ النظريِّ أساسًا في البحثِ والتفكيرِ، والفضيلةِ أساسًا في العمل والسلوك[1].

لذا أعاد الفارابي التمييز الأفلاطوني بين الفيلسوف الحق والفيلسوف الباطل، بقصد رسم ملامحَ الفيلسوفِ الحقيقيّ؛ فيلسوفِ المستقبل وكيف يمكنُ تربيتُه وإعدادُه، فميَّز بينَ الفلسفةِ الحقَّةِ والفلسفةِ البتراء والفيلسوفِ الحقِّ وفيلسوفِ الزُّورِ، وجعلَ منَ العلمِ النظريِّ أساسًا في البحثِ والتفكيرِ، والفضيلةِ أساسًا في العمل والسلوك.[2]

وللباحثِ رأيٌ يميلُ إليه في هذه الدّراسةِ أساسُه أنَّ الأبستمولوجيا الفارابيَّةَ تتعاضدُ والمشروعَ الفلسفيَّ الفارابيَّ في مناحِيهِ الواسعةِ تحصيلًا لسَعادةِ الفرْدِ والمدينةِ الفاضلةِ، فالمعرفيُّ إذًا سابقٌ للسياسيِّ، وأنّ السياسيَّ بالنسبةِ للفلسفيِّ يتأسَّسُ على المعرفيِّ، وهذا التصوُّرُ الفارابيُّ مستوحًى من الموقفِ الأفلاطونيِّ القائمِ على ربطِ الرياضياتِ بالفلسفةِ عمومًا، وبالمشروع السياسيِّ تخصيصًا. [3]

وعلى وفق ما تقدم، فإنَّ الفلسفةَ صارتْ تهتمُّ بالإنسانِ اليوميِّ وأحداثِه ومشاغلِه اليوميَّةِ المتكررةِ الخاليةِ من المعنى الحقيقيِّ، الذي يهمُّ الإنسانيةَ في عمومِها وبتعبير "بيار هنري فرانيي" P.Henry Frangne في كتابه "Le fragment et le quotidian"[4] طبعة PUF 2005 **الذي** يُعرِّف اليوميَّ بقوله: «هو هذا المجموعُ المختلطُ المتلبِّدُ الذي نُسمِّيهِ الحياةَ اليوميةَ وتتبدَّى هذه الحياةُ في جوهرِها

(1) الفارابي، كتاب "تحصيل السعادة" وكتاب "التنبيه على السعادة"، وهذا مما يميزُ الفلسفةَ عنْ غيرِها حيثُ لا احْتِكارَ في المعرفةِ، ولا في طرُقِ الوصُولِ إليْهَا، وفيما يلي بيانٌ لما يراهُ الفارابيُّ منَ الحكْمةِ النظريَّةِ، لذا يدعو الفارابيُّ العلومَ النظريةَ بالفضائلِ النظريَّةِ، ويحدِّدُ غرضَها بأنَّهُ تحصِيلُ الموجُوداتِ في العَقْلِ دونَ أنْ يُعملَ بها، ولهذا سمِّيتْ نظريةً لا علميةً.

(2) الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ ، تحصيل السعادة، وكتاب: التنبيه على السعادة.

(3) إن الفلسفة الحقة والفيلسوف الحق في عصرِ الفلسفةِ الحاضرِ مرتبطٌ بالدَّوْرِ الذي يمكنُ أنْ تضْطَلِعَ به الفلسفةُ اليومَ لخدمةِ الإنسانِ والحياةِ، ولذلك أرى أنَّ العنايةَ بهذا الأمرِ وتحليلَه مهمٌّ جدًّا، لكونه يحقِّقُ للفلسفةِ غاياتِها الأولى، وهي السَّيرُ في اتجاهِ الحكمةِ، وللإنسان غايتَه وهي تحقيقُ سعادتِه، وكيفَ يمكنُ للإنسانِ اليوم تحقيقُ سعادتِه أو السَّيرُ في طريقِها، والعولمةُ الاقتصاديةُ والتكنولوجيةُ والتربويةُ والماليةُ وغيرها، تُسَيطرُ على كلِّ وجوهِ الحياةِ في المعمُورةِ حسبَ تعبيرِ الفارابي..

(4) Le fragment et le quotidien dans l'art », Pôle National de Ressources Danse de Bretagne, CRDP de Bretagne, DRAC de Bretagne, janvier 2005, http: //pierre.campion2.free.fr/frangne-fragment.htm

متباينةً، نجدُ فيها أحداثًا فكريةً وأشياءَ ووضعياتٍ وعلاقاتِ تواصلٍ مع الآخرينَ وكلماتٍ ومشاهدَ الحياةُ اليوميةُ غيرُ قابلةٍ للحصْرِ، إنها المشتركُ بين البشَرِ، إنَّها العادةُ إنها طريقةُ العيش والوجودِ ، وتقومُ الحياةُ اليوميةُ على الرأيِ والاعتقادِ، بينما تعارضُ الفلسفةُ في جوهرِها هذيْنِ المصطَلَحَيْنِ منذ "أفلاطون"، لأنَّ الرأيَ لا يفكِّر والاعتقادَ عائقٌ أمامَ التفكير؛ لأنَّه ظنِّيٌّ وذاتيٌّ.

ويرى "أدورنو" في كتابه "نماذج نقدية الآراء والأوهام والمجتمع": أنَّ الرأيَ يسْتَحْوذُ على ما تستطيعُ المعرفةُ بلوغَه لكي يقومَ بديلًا لها: فهو يُلْغِي بطريقةٍ مضلِّلةٍ الهُوَّةَ بينَ الذَّاتِ العارفةِ والواقع الذي يفلِتُ منها[1] .... ندرك إذا هنا أن الفلسفةِ تهتمَّ من جديدٍ بالوجودِ العمليّ للحياةِ الإنسانيَّةِ، الذي قد تكونُ عبارةُ اليوميّ العبارةَ الأقربَ لفهمِه وتحريرِه منْ أدواتِ السُّلطةِ التي تعبثُ به وتستعملُه، ولهذا أيضًا صارتِ الفلسفةُ - وبسببِ قُربِها منَ اليوميّ - محلَّ نقدٍ سلبيّ منْ طرَفِ أجهزةِ السُّلطةِ الماليَّةِ والدينيَّةِ والسياسيَّةِ؛ لأنَّ غرضَ الفلسفةِ دومًا غرضٌ تحرريٌّ قُتل في سبيلِه "سُقْراطُ" لما أرادَ تحريرَ الشبابِ منْ خلال محاورتهم وإيقاظِهم، يقولُ الدكتور فتحي التريكي: «لقد أصبحْنا اليومَ كلُّنا نتوجَّهُ إلى اليوميّ لمعرفتِه ومساءلتِه واستخراجِ معانِيه»[2]

ومن منظور إشكاليّ يُعبّرُ التريكي عن إشكاليَّةِ الفلسفةِ واليوميّ على النحو التالي: «هل يعني أنَّ اليوميَّ قد دخل فجأةً مجالَ التفكيرِ فأكسَبْناهُ قيمةً لم يَعْتَدْها منْ قبلُ، باعتبارِ أنَّ القيمةَ الرُّوحيَّةَ والفكريَّةَ كانتْ تُعطى للأشياءِ التي نتأمَّلُها دونَ أنْ تكونَ لها درجةُ استعمالٍ قُصْوى، أم يعني ذلك أنَّ الإنسانيةَ قد بدأتْ تفقدُ شيئًا فشيئًا قيمَها الروحيَّةَ السَّاميةَ فالتجأتْ إلى العاديّ لتقديسِه حينًا وللإعجابِ به حينًا آخرَ؟»[3]

لذا يرى الباحث أنَّ ما ترمي إليه فلسفةُ الحياةِ اليوميَّةِ دعْمُ فلسفةِ الابتكار والتنوُّع مقابلَ التوجُّهاتِ الأخرى المحاولة لقتلَ التنوُّع باعتباره مخالفًا للحقيقةِ التي يجبُ أنْ تكونَ واحدةً، وبما أنَّ وراءَ التعصُّبِ للحقيقةِ عند كلِّ جماعةٍ يوجدُ موقفٌ سلطويٌّ عنيفٌ يرفضُ كلَّ خُروج عنها أو مغايرتها، وبما أنَّ الفلسفةَ اليومَ غيرتْ وجهتَها منَ البحثِ في الحقيقةِ وتصوُّراتها إلى البحثِ في المعنى وتعدُّدِه، لم تعُدْ تجدُ التوجهاتُ السُّلطويةُ أيَّ أساسٍ يشرعّ لوجودِها؛ لأنَّه بميلادِ فلسفاتِ المعنى

(1) مكاوي، عبد الغفار ،النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص21.
(2) التريكي فتحي، فلسفةُ الحياةِ اليوميةِ، ص 57.
(3) التريكي فتحي، فلسفةُ الحياةِ اليوميةِ، ص 57.

والتنوُّع صار الاختلافُ القيمةَ الأهمَّ في الحياةِ البشريَّةِ ، وبهذا صارتِ الفلسفةُ الأداةَ المثلى المعبّرةَ عن الحياةِ الفعليَّةِ للحياةِ الإنسانيةِ اليومَ، ومن ثَمَّ صارتِ الأقدرَ على فهمِه وتوجيهِه والفعلِ فيه فهمًا وتغييرًا.

2.1.3 الحِكْمَةُ[1] العمليَّةُ وأقسامُهَا: إن كان الحكيم في تصور الفلاسفة المحسن في تدبير أموره الحياتية إجمالا ، فالحكمة العملية تعني أساليب وطرق التفكير المتجددة ، وحسن التصرف في ميادين الحياة ومواقفها ومشكلاتها وسبل حلها ، والتي هي في طبيعتها جزئية فرب الأسرة مثلا يمضي في تصريف أمور حياته ومعاشه وهو ينظر لها بطريقة جزئية كون مشاكله مختلفة وأنه يعالج كل مشكلة على حده ، وهذا ما يجعل حل مشكلاته فيه نوع من الضبابية لذا يقوم بفلسفة حياته وفق رؤيته الشخصية كونها مرتبطة بالمواقف، فالموقف الفلسفي يتحرك وفق نسقين إما حركة الفكر التي تجعله ينصرف للعزلة العقلية لترتيب حلها ، أو لحركة ينفذ فيها إلا الواقع ليفهمها وليتأملها لإيجاد طرق مناسبة.

لذا فالفلسفةِ اليوم تأخذ الإنسان إلى التفلسف كوجهةً عمليةً وغاياتٍ عمليةً أيضًا، ورغم ما يبدو أمامَ الآخرين من صعوباتٍ حقيقيةٍ في الاطِّلاعِ على أعمال الفلاسفةِ وأفكارهم، فإنَّ انجذابَ الفلاسفةِ للواقعِ كبيرٌ جدًّا، ولكنَّ هذا الانجذابَ إشكاليٌّ أيضا؛ لأنَّ مفهومَ الواقعِ يحملُ هو الآخرُ غُموضًا كبيرًا يصعبُ تجاوُزَه، بل يمثِّلُ هذا الغموضُ في توجيهِ الفلسفاتِ وجْهاتٍ متعدِّدةٍ في التأويلِ والفَهْمِ ، ولهذا نرى الفلاسفةَ في عملياتِ التفكيرِ والتأويل التي يقومُونَ بها يتعاملونَ معَ المسائلِ مفهوميًّا واصطلاحيًّا، والفلسفةُ - بما هي حبٌّ للحكمةِ ومركزها الإنسانُ - أثارتْ إشكالًا كبيرًا لم تتمكنْ من تجاوُزِهِ إلى اليومِ . لذا عندما طرحَ أرسْطُو **السؤالَ ما الموضوعُ الأسمى في الفلسفةِ؟** [2]

(1) يدور مصطلحُ «حكمة» - كما يقولُ ابنُ منظور - «الحَكَمَةُ: ما أحاطَ بحَنَكَي الفرسِ، سُمِّيتْ بذلكَ لأنَّها تمنعُه من الجريِ الشَّديد، وتُذلِّل الدَّابَّة لراكبها حتى تمنَعَها من الجِماحِ، ومنه اشتقاقُ الحِكْمَة؛ لأنَّها تمنعُ صاحبَها منْ أخْلاقِ الأراذلِ. ينظر: ابن منظور ،محمد جمال الدين لسان العرب،(ج11/ ص 458).

والحكيمُ هوَ: الذي يجمعُ بينَ العلمِ والأخلاقِ المثاليةِ، وهو الذي يجعلُ سلوكَهُ مطابقٌ لأحكامِ العقلِ، والحكمةُ يُقصَدُ بها عند اليونانيينَ الفلسفة، ثم قيلَ إنَّها الفضيلةُ عند الرواقيين. (أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيَّة، ص 54).

(2) Oeuvres d'Aristote, traduites par Barthélémy Saint-Hilaire en 35 volumes. Paris 1837–1892.

عالجَه على نحويْنِ اثْنينِ :

أوَّلًا: إنَّ الموضوعَ الأسْمى هو الموجودُ الأوَّلُ أو الخيرُ الأسْمَى أيْ مسألةُ الرُّبوبيةِ والإلهياتِ بتعبيرِ فلاسفةِ الإسلامِ، وجعله أرسطو الموضوعَ الأسْمى لأنَّهُ أسْمى ما يمكنُ للعقلِ أنْ يصلَ إله صعُودًا وتجريدًا، وأنَّه مجالٌ يحتاجُ إلى جميعِ المعارفِ الممكِنةِ الأُخْرى.

ثانيا: أرسطو يعيدُ طرحَ السُّؤالِ في سياقٍ آخرَ متَّصلٍ بالجانبِ العمليّ فأجابَ إجابةً أُخْرى مغايرةً، وقالَ بأنَّ السياسةَ هي أسمى المسائلِ وأهمُّها باعتبارِ أنَّ السياسةَ هي المجالُ الذي يحدِّدُ الفكرَ ويوجِّهُه، بما في ذلك توجيهُ الفكرِ في مسائل الإلهياتِ والرُّبوبيةِ، وكأنَّ كلَّ قولٍ في الإلهياتِ هو قولٌ سياسيٌّ في أعماقِه وأبعادِه وغاياتِه ، وبما أنَّنا أمامَ إجابتيْنِ اثنتيْنِ عند أرسْطو فإنَّ السؤالَ يبقى قائمًا: ما سرُّ هذا الاختلافِ؟ هل هو تناقضٌ في الفلسفةِ الأرُسْطيةِ؟ أمْ أنَّ الأمرَ له وجْهٌ آخرُ يجبُ رصْدُه ومعرفتُهُ؟

فعندما نتأمَّلُ النَّسَقَ الفلسفيَّ القديمَ، منذ اليونانِ والمسلمين وفلاسفةِ العصرِ الوسيطِ بشكلٍ عامٍّ، نلاحظُ أنَّ الفلسفةَ – أيِ: الحكمةَ - لها وجوهٌ ثلاثةٌ: حكمةٌ نظريَّةٌ، وحكمةٌ عمليَّةٌ، وحكمةٌ إنتاجيَّةٌ ، أمَّا **الحكمةُ النظريَّةُ**: فهي الحكمةُ التي لنا أنْ نعلمَها فقطْ ولا صِلةَ لها بالعمل والممارسةِ، أيْ: إنَّها نظرٌ عقليٌّ خالصٌ، والعقلُ الذي يعتني بها يُسمَّى عقلًا نظريًّا، وموضوعُ هذه الحكمةِ النظريَّةِ الوجُودِ في ذاته، وهو المسَمَّى بالإلهياتِ، والوجودِ الكَمِّيّ وهو المسمَّى بالرياضياتِ، والوجودِ الحركيّ وهو المسمَّى بالطبيعياتِ. **وأمَّا الحكْمةُ العمليَّةُ**: فهي الحكمةُ التي لنا أنْ نَعْلمَها ونعملَ بها وهي التي تأخذُ مبادئَها منَ الحكمةِ النظريَّةِ ، وتنقسِمُ لثلاثِ مسائلَ الأخلاقِ والسياسةِ والتربيَّةِ، وهذه الحكمة العملية كما عبر عنها السيوطي فقال: "الحكمة العملية: العلم بما يكون وجوده باختيارنا" [1] [2].

ويرى الباحث أن المجال العملي للفلسفة العملية أو الحكمة العملية ظهر في عناية الفلاسفة المسلين كالفارابي في كتابه إحصاء العلوم ، وابن سينا في كتابه الشفاء ورسائله الفلسفية مثلا وهي

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص130.

(2) لذا الحكمة العملية من طبيعتها أنها تعمّ الأخلاق، وما يرجع إلى المجتمع الصغير والكبير، مثل تدبير المنزل وسياسة المدن، فإن هذه المُدْرَكات من شأنها أن يعمل بها، وتتطلب تطبيقها في الحياة.

دلالة على عمق التجربة وحضور الواقع كون الفلسفةَ يجبُ أن تهتمَّ بعقل الإنسانِ وحريته وفتح آفاقه ، وتهتمَّ بحياة الإنسان معاشه وحياةِ الإنسان لفهمِه وتحريرِه من أيّ سُلطةٍ، كون الفلسفةِ مبحثًا عقليًّا حرًّا مستقلًّا ينشدُ الحقيقةَ، ولهذا صارت الفلسفةُ وبسببِ قربها من اليوميّ محلَّ نقدٍ سلبيٍّ عند بعض العقول السَّلبيةِ أو الغيرِ مستقلةٍ.

2.3 المطلبُ الثاني: فلسفةُ جماليَّةُ العيشِ المشتركِ والالتزامُ الفلسفيُّ.

تبيَّنَ ممَّا تقدَّم أنَّ الفلسفةَ في وجْهِهَا العمليّ تهتمُّ بطبيعةِ الوُجُودِ الإنسانيّ المدنيّ والتربويّ والأخلاقيّ، وَفْقَ فضائلِ الحكمةِ العمليةِ التي تقودُ إلى مبادئ التعقُّلِ والرويةِ وحُسنِ تَدْبيرِ الواقع ، وفي هذا السِّياقِ فإنَّ الحكمةَ العمليَّةَ أو البُعْدَ العمليَّ في الفلسفة اتَّخذَ في العصْرِ الحاليّ وجوهًا تطوريَّةً جديدةً، نجدُها خاصَّةً في مفهومِ العيشِ المشترك وجماليتَهُ[1]، أيْ: في سياقِ الفلسفةِ والحياةِ اليوميَّةِ المهتمَّةِ بفكرةِ حُسنِ البقاءِ، فالحياةُ المدنيةُ تقتضي الحكمةَ العمليَّةَ، أي: حُسْنَ تدبيرِ الواقع، لتكونَ الحياةُ الإنسانيةُ ممكنةً، وبتعبيرِ فتحي التريكي: «فلسفةُ الغيريَّةِ والعيشُ معًا»، الذي يعني قدرةَ الإنسانَ على تغيير طبيعتِه الاجتماعية وتحويلِها إلى طبيعة اجتماعيَّةٍ عقلانية وواعيَةٍ، وفْقَ رؤيةٍ عمليةٍ تندرجُ في فلَكِ احترامِ التعدُّديَّة[2].

لذا فالعيشُ المشتركُ يبنى على قاعدةِ التآنُسِ والمحبَّةِ والتآلفِ والانسجامِ بين البشرِ، الذي لا يعبّر فقطْ عن عدالةٍ مصْحُوبةٍ بالحكْمةِ والحبّ، ولكنْ أيضًا الوفاقِ الممكِنِ بينَ الأشْخاصِ[3].

(1) راجع كتاب: التريكي، فتحي، جمالية العيش المشترك.(ص43)

(2) التعدديَّةُ الثقافيةُ Pluralism: فلسفةٌ سياسيةٌ أو اجتماعيَّةٌ تعملُ على تطويرِ التنوُّع الثقافيّ، تحظى هذه الفلسفةُ بدعمِ العديدِ منَ المربّينَ في الدولِ التي يتكونُ فيها السُّكانُ مِنْ مجموعاتٍ اجتماعيةٍ تنتمي إلى خلفياتٍ عِرقيةٍ أو ثقافيةٍ متباينةٍ، ومنْ أهمّ أهدافِ التعدُّديةِ الثقافيةِ: تطوير التفاهُمِ بين المجموعاتِ الثقافية، ولهذا السببِ يُطْلقُ على التعدُّديَّةِ الثقافيَّةِ أحيانًا اسمُ البينيَّةِ الثقافيةِ. ويُفضّلُ مؤيدو فلسفةِ التعدديةِ الثقافيةِ أنْ تشتملَ المناهجُ التعليميةُ تدريسَ التعدديةِ الثقافيةِ، لتمكينِ الطلابِ من فهْمِ هذه الثقافاتِ والتعامل معها، ويُسمَّى هذا النوع من التربية المتعدّدةِ الثقافاتِ.

(3) التريكي، فتحي، جمالية العيش المشترك، ص 65.

ويرى الباحثُ أنَّ المجالَ العمليَّ الأخلاقيَّ قد برعَ فيه المسلمونَ كثيرًا، وألَّفوا فيه الكتبَ والمؤلَّفاتِ الضَّخمةَ التي يظهرُ فيها جليًّا الامتزاجُ الكبيرُ الذي حدثَ بينَ الحِكْمةِ الإسلاميَّةِ والحكمةِ اليونانيةِ في ميدانِها العمليِّ، ولهذا فإنَّ العيشَ المشتركَ يَقْتضي الاعترافَ بالاختلافِ وتحقيقَ الحريَّةِ والعدالةِ الكونيةِ، غير أنَّ الواقعَ الإنسانيَّ الإقليميَّ والعالميَّ يسيرُ على خِلافِ الاتِّجاهِ الصَّحيحِ، وهذا الواقعُ العالمي المعولمُ يقتضي منَ الفلسفةِ ممارسةً مخصوصةً، ومنَ الفيلسوفِ ممارساتٍ خاصَّةً تدخُلُ في سياقِ مفهومِ الالتزامِ الفلسفيِّ الذِي يؤكِّدُ طبيعةَ الممارسةِ الفلسفيَّةِ، لا بمعنى التفلسُفِ وإنما بمعنى الفاعليَّةِ الواقعيَّةِ للفيلسوفِ التي تذكّرنا بفاعليَّةِ سُقْراطَ في مدينة أثينا.

إنّ الالتزامَ بما هو تجربةٌ وجوديَّةٌ تتحمَّلُ الذاتُ في إطارها أعباءَ وجودِهَا، بحثًا عنْ سُبُلِ التَّحَرُّر والانْعِتَاقِ، ليكونَ بذلكَ مضادًّا لتعالي الفكْرِ وتحصُّنِه ببرجٍ عاجيّ ، وهذا المعنى الأخيرُ هو ما طالعَنا به: «جان لادريار» في مقاله عنِ الالتزامِ بالموسُوعة العالميّة. Encyclopedia Universals [1]، [2] وهذا يعني أنَّ الالتزامَ موقفٌ وسلوكٌ تُجاهَ الواقعِ، ومِنْ ثَمَّ فالالتزامُ مُضادٌّ للامبالاةِ والتعالي وتعبيرٌ عن عُضوية حضور الفيلسوفِ في الواقع والتاريخِ وفاعليته فيه بجميعِ أشكال الممارسةِ القوليَّةِ والفعليَّةِ فكرًا وسياسةً وتربيةً وأخلاقًا، وهذا الموقفُ هو الذي يجعلُ الفلسفةَ نتاجَ واقعِها منْ جهةٍ وفاعلةً فيه من جهةٍ أخرى فهمًا وتغييرًا ، ورمْزيةُ سقراطَ في هذا السِّياقِ لها دلالتُها التاريخيةُ والواقعيةُ والفلسفيةُ التي تعارضُ ما يُشاعُ عن الفلسفةِ عمومًا عندَ الذين لا يعرفونَها منْ تعالٍ عن الواقعِ وبُعدٍ عنه ، لذا جسَّم سقراطُ - كما نعلَمُ - فعلَ النَقْدِ العميقِ للواقعِ الفكْريِّ وهوَ نقدٌ يتَّخذُ منَ الحوارِ والجدلِ منهجًا وأسلوبًا، وانتهتْ هذهِ الرِّحلةُ بمحاكمةِ سقراطَ الشهيرةِ التي انتهَتْ بالحكْمِ بإعدامِهِ ودُونَ أنْ يشْهَدَ التاريخُ بأيِّ تراجعٍ منْ سقراطَ، بل سجَّلَ التاريخُ التزامَهُ هَذا إلى آخِرِ لحظاتِ حياتِه، وفي هذا دليلٌ واقعيٌّ على أنَّ الفلسفةَ لا تكونُ إلا فلسفةً عمليةً تعبّرُ عنِ الفكرِ الملتزم، أيِ: «الفكر الواعي بضرورةِ الوفاء لمشروع إنسانيٍّ محدّدِ المبادئ والمقاصِدِ»[3].

(1) الجابلي: سعيد، "مسألةُ الالتزام عند سقراط"، بحثٌ محكَّمٌ، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية. مؤمنون بلا حدود، 2019م، (ص7).

(2) الجابلي: سعيد، "مسألةُ الالتزامِ عند سقراط"، ص 7.

(3) مسألةُ الالتزامِ عند سقراط، سعيد الجابلي، (ص 8). وبتعبيرِ الفلاسفةِ المعاصرين: لا يكونُ الفيلسوفُ إلا «مُثَقَّفًا عُضْويًّا» بتعبير غرامشيٍّ، وإلا كان «مثقفًا زائفًا» كما يرى سارتر، وهو المعنى نفسُه

وهذا ما نجدُه في حياةِ فلاسفة الإسلام الذين حملُوا على عاتِقِهم الالتزامَ بالحقِّ نظرًا وعمَلًا وتحمَّلوا مسؤولياتهم كاملةً، وسجَّل لنا التاريخُ تَبِعاتِها السَّلبيةَ مِنْ نَفْيٍ للفيلسُوفِ أو قَتْلِه أو حرْقِ كتبِه إنْ لم يكُنْ حرقُهُ هوَ نفسُهُ، ولنا فيما عُرفَ في تاريخِ الفلسفةِ بنكبَةِ ابنِ رُشْدِ نموذجًا آخرَ لفعل الالتزامِ الفلسفيّ ومُعاناةِ الفيلسوفِ وهو يحملُ رسالتَهُ واقعيًّا ، لذا فالفلسفةَ بهذا المعنى ممارسةٌ واعيةٌ فكريًّا وواقعيًّا تحملُ المعنى الأصيلَ الذي يسعى إلى تحقيقِ إنسانيَّةِ الإنسانِ منْ خلالِ تدبيرِ واقعِه وسياسةِ نفسِهِ ومدينتِهِ، وهذا يؤكِّدُ منزلةَ الحكمةِ العمليَّةِ بجميعِ مستوياتِها في نسقِ الفلسفةِ أوَّلًا وحضُورَ الفلسفَةِ واقعيًّا ثانيًا، وفي المقابل لا يبدأُ التفكيرُ الفلسفيُّ عمليا إلا بالأسئلةِ، والشكِّ وما يحسَبُه الناسُ بَدَاهاتٍ، والتي تتوالدُ من أجْوِبتِها باستمرارٍ أسئلةٌ جديدةٌ.. فكلُّ حضارةٍ صنَعتْها البشَريَّةُ توالدَتْ منْ رحِمِ الأسئِلةِ.

3.3 المطلب الثالث: الفلسفة الإسلامية ودورها العملي والحضاري.

الحديث عن الفلسفة الإسلامية هو حديث عن أحد الأسس الفكرية والمعرفية للحضارة خلال مسيرتها الإنسانية، لذا ظلت الفلسفة الإسلامية أحد إسهامات الحضارة كونها مجموع الأفكار والآراء والنظريات والمذاهب التي نشأت وتطورت حول الفكر الإسلامي ، وما تفرع عنها من قضايا ومشكلات استدعت ظهور فرق وشخصيات تجادل بعضها بعضا ، كما تجادل بعضها مع أصحاب العقائد والمذاهب الأخرى التي عاشت في المجتمعات الإسلامية القديمة ، حتى تفاعلت هذه الفلسفة مع المصادر الإسلامية ثم مع ما تلقاه المسلمون من الثقافات والحضارات السابقة عليهم وبصفة خاصة الثقافة الإغريقية والحضارتين الفارسية والهندية، إلى جانب ما تحاوروا حوله مع أصحاب الديانات السماوية .

والواقع أن الفلسفة الإسلامية في وضعها الذى وصلنا لا تقتصر على مجال واحد، بل تضم عدة دوائر ومجالات من أبرزها الفلسفة ذات الاستلهام اليوناني من خلال الفلاسفة الذين تلقوا ترجمات اليونان إلى العربية وقاموا بتحليلها وبيان موافقتها للوحي كما فعل الكندي والفارابي وابن سينا في المشرق، وابن باجة وابن رشد في المغرب [1]،كل هذا الحراك كان جزء من تطور الحضارة العلمية في

والتمييزُ ذاتُه الذي نجدُه عند الفارابي عندما ميَّزَ بينَ الفيلسوفِ الحقيقيّ والفيلسوفِ البُهرْجِ، أي: الزائِفِ.

(1) أنظر: د. طاهر حامد، الفلسفة الإسلامية الجانب الفكري من الحضارة الإسلامية، ص 8 .

الإسلام ، لذا بلغت هذه الحضارة مثلا في عهد هارون الرشيد (17-193هـ) أعلى مستوى لها في مختلف المجالات، وخاصة المجال الثقافي فأصبحت تتعايش في المجتمع الإسلامي أربع ثقافات كبرى هي اليونانية ، والفارسية ، والهندية والعربية، كما وجدت إلى جانب الإسلام كل من اليهودية ، والمسيحية ، وبعض أتباع الديانات الوضعية كالزرادشتية والمانوية ، ولعل السبب الأساسي في هذا التنوع والتفاعل يرجع إلى سعة أفق الخلفاء العباسيين من أمثال الرشيد ، والمأمون والذى كانا مشجعان لحركة العلوم والآداب ، تمّ إنشاء (بيت الحكمة) ذات الطابع العالمي ، والتي ضمت عددا من المترجمين الأوائل على نقل كنوز التراث اليوناني في الفلك والرياضيات والطب والفلسفة، وكان (المنطق) بصفة خاصة الذى اعتبره اليونان مدخلاً للفلسفة أهم ما حاز إعجاب المسلمين ، فأقبلوا عليه بالدرس والشرح والتلخيص ، بل إنهم راحوا يستخدمونه في جدلهم الديني، وعلومهم اللغوية والدينية [1] .

وكان الكندي مثلا (ت 252) أول فيلسوف إسلامي صاحب نظرية معرفية متكاملة يهتم بالفلسفة وموضوعاتها التي سبق أن تناولتها الفلسفة اليونانية القديمة، وبعده الفارابي (ت 339) والذي وضع نظرية متكاملة في تصنيف العلوم من خلال كتابه الإحصاء وغير ذلك من إسهامات فلاسفة الإسلام .

من هنا ندرك أن الفلسفة الإسلامية قد قامت بأدوار عديدة وكان من أمثلة هذه الأدوار محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة التي وفدت على العالم الإسلامي في مطلع الاحتكاك الثقافي الذي تم بين مختلف الشعوب والحضارات، أما الدور الهام فهو انتشار علم المنطق الأرسطي في دوائر التعليم، والإفادة منه في حركة التأليف العربية التي شاعت في كل المجتمعات الإسلامية حتى وصولها للفلاسفة المحدثين [2]

(1) أتاح هذا التنوع الديني والثقافي من ناحية، والوقوف على عناصر الفلسفة اليونانية من ناحية أخرى – الفرصة لأصحاب الميول الفلسفية من المسلمين لكى يمارسوا التفكير الفلسفي الخالص، بل ويعبروا عنه فى جو مشجع من القبول والحرية، خاصة وأن الأرض كانت ممهدة من قبل بوجود طائفة المتكلمين، الذين كانوا قد بدأوا مهمتهم بالدفاع العقلي عن الإسلام ضد خصومه.

(2) حاشية من الجدير بالملاحظة أن رواد الفلسفة الإسلامية المحدثين من أمثال الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده قد واجهوا بكل شجاعة تلك الحملة التي أثارها الغربيون ضد الإسلام والمسلمين، خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين وكانت لإسهاماتهم في إحياء التراث والترجمة والتأليف أبلغ الأثر.

من هنا يرى الباحث أن الفلسفة الإسلامية قامت بواجبها كفلسفة عملية عقلية حيث بينت للإنسان المعاصر أهمية علم الفلسفة وأثره، ومسيرة العقل عبر العصور، والقوانين الثابتة المرتبطة به ، أو النابعة منه، كما بينت خطوات كل من المنهج العقلي والتجريبي الذى يقود الإنسان إلى المعرفة الحقيقية ، أو التمحور حول علوم الحكمة والتي وافقها الدين الإسلامي الذي جعل العقل أحد مصادره ، وطالب الناس بأن يستخدموا عقولهم، لذا يبقى أن تأصيل الاتجاه العقلي لدى المسلمين ظل صمام الأمان الذى يحد من فورة الاختلافات المرتبطة دائمًا بالتعصب أو عدم الاستقلالية كون الفلسفة الإسلامية تؤصل المنهج العقلي الحر المستقل الذي يدور في فلك الفكر وتعظيم الوحي ومساهمتها الفاعلة والعملية في فكر وحياة وسعادة الإنسان .

4. الخاتمة وأهم النتائج:

تبين مما سبق أن الفلسفة وإن كانت من حيث أصل التسمية: محبة الحكمة، فإنها من حيث الممارسة والفعل: السير في طريق الحكمة، وهذا السير منح للحكمة المنزلة اللائقة بها من حيث أنها تدبير للشأن البشري لتحقيق سعادته، وبما أن تدبير شأن البشري متعدد الأبعاد فلا بد أن الحكمة العملية التي يعود إليها هذا الفعل ستظهر بثلاثة مظاهر وأبعاد، وهي البعد التربوي؛ أي: فلسفة التربية، والبعد الأخلاقي، أي: فلسفة الأخلاق، والبعد السياسي، أي: فلسفة السياسة. كما تقتضي الحكمة العملية مفهومًا خاصًا للعقل، هو العقل العملي، بما هو تعقل وروية وتدبير.

ولا شك أن العقل العملي هذا يأخذ مبادئه الأولى من العقل النظري، أي أن الحكمة العملية ستنطلق من الحكمة النظرية التي يتولى شأنها والتفكير في مسائلها العقل النظري المتسائل عن ماهية الوجود في ذاته، والوجود في بعده الرياضي، والوجود في بعده الطبيعي.

وبهذا تكتمل صورة الفلسفة المنادية بأن يعرف الإنسان نفسه؛ لأن معرفة الإنسان أصل كل معرفة وغايتها وهو ما يجعل الفلسفة في جوهرها ذات مهمة واقعية فعلية تسعى إلى الفهم والمعرفة وإدراك الحقيقة والمعنى حتى يحقق الإنسان إنسانيته أي خيريته، وفضائله أي سعادته.

إن الفلسفة بهذا الفهم وإن كانت نظرية تأملية في ممارستها فإنها عملية محررة للإنسان في غاياتها، ولهذا السبب كان همنا الأول في بحثنا الحالي أي البحث عن حقيقة الفلسفة العملية وقيمتها، مستقبليا من خلال طرح أسئلة أخرى من مثل: ما علاقة الفلسفة العملية بالأخلاق والتربية؟ وما علاقتها كذلك بالأخلاق والسياسة؟ أي صلة للفلسفة العملية لتحقيق سعادة الانسان؟

♦ **وفي ختامِ هذا البحث يمكن استخلاص بعض النتائج:**

1- إنَّ الفلسفةَ بجانبها العملي لم تعد مقتصرة على محبة الحكمة فقط بل تعدى التفكير إلى فهم ونظر عقلي حر مستقل لأبعاد أخرى يمارسها الإنسان تقوم على فهْمًا للواقع وكيفيَّة تغْيِيرِهِ وفق للظروف الحياتية ومساراتها وظروفها.

2- إن كان أثر الفعل الفلسفي قديما قدم إنتاجا على أساس المحاولة والخطأ والتجارب، فإن إنتاج الإنسان اليوم عرفت تحولا نوعيا أسس من خلاله نظريات ومعارف وطرق في البرهان وعالم التفكير المنظم.

3- أن فكرة التحليل العقلي ذو بعد عملي مستمر ومتطور في التفكير، لذا تتنوع مهارات الإنسان إبداعا في ظل ما يعيشه الإنسان من تطورات علمية ومعرفية أنتجها التراكم المعرفي المتجدد.

4- إنَّ الفلسفةَ مرتبطة بواقع الإنسان وأنماط تفكيره، فلا يوجد شخص لا يمارس النقد أو الشك أو التأمل أو التساؤل كون الإنسان بطبيعته ينشد الحقيقة وأن حياته مرتبطة بالتفكير في تدبير معاشه وحياته.

5- إنَّ علاقة الإنسان بالوجود علاقة قديمة، وما انتجه الإنسان من حضارات وثقافات ما هي إلا تجسيد فعلي لهذه العلاقة وتطور فعل التفلسف كون وجود الإنسان العاقل يقتضي ان تكون علاقة الإنسان بعالمه علاقة تعقل وتدبر وتأمل أنتج المعارف وتكيف مع المستجدات واستمر بالتطور.

6- إنَّ الفلسفةَ بمجالاتها العملية هي ميدان يتعايش مع اليوميّ وحياةِ الإنسانِ لفهْمِه وتحريرِه منْ أدواتِ أيّ سُلطةٍ، كونَ الفلسفةِ مبحثًا عقليًّا حُرًّا مستقلًّا ينشُدُ الحقيقةَ، ولهذا صارتِ الفلسفةُ وبسببِ قُربِها منَ اليوميّ محلَّ نقْدٍ سلْبيٍّ عند بعضِ العُقول السَّلبيَّةِ أو غيرِ المستَقلَّةِ.

7- أن صناعة التفكير الفلسفي خطوة عملية نحو تغيير أنماط التفكير كونها مرتبط بالحكمة العملية والتي تمكن غايتها تحصيل العلم أجل العمل.

8- أنَّ الفلسفةَ اليومَ تتَّجِه نحوَ تحقيقِ إنْسانيَّةِ الإنسانِ وَفْقَ مُقتضياتِ الحياةِ الواقعيةِ اليومَ، أي وَفْقَ مقتضياتِ العالميَّةِ والكونيَّةِ والقريةِ الصَّغيرةِ التي صارتْ إليْهَا الأرضُ بجميعِ مكوّناتِها البشريَّةِ والثقافيَّةِ تحقيقًا لعالميَّةِ الحياةِ الإنسانيَّةِ، وتجنُّبًا لكلّ عولمةٍ ممكنَةٍ.

9- إن الفلسفة قد لا يكون لها رصيد واقعي إلا إذا استطاعت موضوعاتها الخاصة أن توجد الإجابة على التساؤلات المصيرية، وبهذا يكون لها القدرة على الاستمرار في حل المشكلات والجواب عن المتناقضات وذلك بفضل سوسيولوجيا نقدية تضع الأشياء والحياة والواقع موضوع التأمل والتساؤل.

5. المصادر والمراجع:

1.5 المراجع العربية:

(1) ابنُ خَلِّكَانَ، أحمدُ بن محمد، وفَيَاتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت، (دمن. ت).

(2) أندريه لالاند، 2001م، موسوعة لالاند الفلسفيَّة، ترجمة: خليل أحمد، ط ثانية، منشورات عويدات، بيروت.

(3) أوغست كونت، 2020م، دروس في الفلسفة الوضعية ج1 الفلسفة الأولى، ترجمة نبيل أبو صعب. دار الفرقد، سوريا.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق عبدالله الدرويش، دار يعرب، سوريا،2004.

(5) البيهقيُ ظهيرُ الدِّين، 1946م، تاريخ حكماء الإسلام، تحقيق محمد كرد علي ط الترقي، دمشق، مقدمة المحقق، 2016.

(6) التريكي فتحي، 2016م، جمالية العيش المشترك، وزارة الثقافة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

(7) التريكي فتحي، فلسفةُ الحياةِ اليوميةِ، الدار المتوسطية للنشر، تونس.

(8) الجابلي: سعيد، مسألةُ الالتزامِ عند سقراط، بحثٌ محكَّمٌ، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية. مؤمنون بلا حدود، 2019م.

(9) الجبوري، د. سامي، 2021م، الفكر الفلسفي ومنظمة الحكمة الفائقة، ط أولى، دار الخليج للنشر، الأردن.

(10) جيل دولوز. 1997م، ما هي الفلسفة، ترجمة مطاع الصفدي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.

(11) ديكارات، رونيه، 2009م، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

(12) رسائل ابن سينا، 1980م، أقسام العلوم، عليُّ بن الحسين ابن سينا، ط أولى، دار المعارف، مصر.

(13) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط أولى، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.

(14) د.طاهر حامد، الفلسفة الإسلامية الجانب الفكري من الحضارة الإسلامية. ط الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة 2012م.

(15) غاستون باشلار، 2000م، جمالية المكان، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

(16) الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، 1960م، الجمع بين رأي الحكيمَيْنِ، دار المشرق المطبعة الكاثوليكية، لبنان.

(17) الفارابي، أبو نصر محمد، 2017، كتاب "تحصيل السعادة" وكتاب "التنبيه على السعادة"، دار الوراق، الطبعة الأولى.

(18) ماركس وأنجلس، الإيديولوجيا الألمانية، طبعة قاليمارد. بدون تاريخ.

(19) محمد جمال الدين ابن منظور،1414هـ، لسان العرب: ط3، دار صادر، بيروت.

(20) مكاوي عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، مؤسسة هنداوي، القاهرة.1994

(21) الموسوعة الثقافية، تحرير وعناية فايزة حكيم، القاهرة، مؤسسة فرانكلين، 1972م.
(22) النشار مصطفى، 2013م، التفكير الفلسفي: المبادئ - المهارات وتطبيقاتها، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
(23) هويدي يحيى، 1989م مقدمةٌ في الفلسفة العامَّة، ط تاسعة، دار الثقافة لنشر والتوزيع.
(24) يودين.م. روزنتال. 1985م، الموسوعةُ الفلسفيةُ، ب، ترجمة: سمير كرم. ط خامسة دار الطليعة. لبنان، بيروت.

2.5 المراجع الأجنبية:

(25) Georges Labica, Karl Marx. Les Thèses sur Feuerbach (Syllepse, 2014).
(26) Le fragment et le quotidien dans l'art, Pôle National de Ressources Danse de Bretagne, CRDP de Bretagne, DRAC de Bretagne, janvier 2005, http://pierre.campion2.free.fr/frangne_fragment.htm
(27) Oeuvres d'Aristote, traduites par Barthélémy Saint-Hilaire en 35 volumes. Paris 1837–1892.